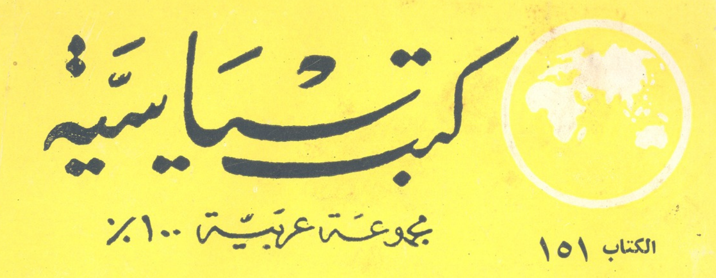


الجمهورية الخامسة

عظمة فى الهواء

بقلم : جماعة من أساتذة التاريخ والاقتصاد
والسياسة فى الجامعة الأمريكية

ترجمة : جمال الليثى

عرض وتقديم : محمد عبد الفتاح ابراهيم

كتب سياسية
الكتاب ١٥١

فرنسا فى التاريخ المعاصر

الجمهورية الخامسة
عظمة فى الهواء

تأليف : هانز كوهين - دونالد ماكاى
ادوارد فوكس - اوچين وبير
بنيامين ريفلين - الزارا تومستوك
ڤال لوروين - سيسلى ماكوارث

ترجمة : جمال الليثى
عرض وتقديم : محمد عبد الفتاح ابراهيم

مقدمة

كتاب «فرنسا المعاصرة ـ الجمهورية الخامسة عظمة فى الهواء» ،

كتاب يفسرّ نفسه ، فهو يقدم أصلا فرنسا المعاصرة ويدرس مايحتمل أن يكون لها اليوم وغدا •

والواقع أن التجربة الفرنسية فى المائة والخمسين سنة الاخيرة كانت مظهرا للكثير من التحول للحسن او للسىء ، فقد مرت فرنسا بمراحل من مراحل تغيير الاتجاه • وجدت نفسها لمرات كثيرة متتالية عند مفترق الطرق ، بين ديمقراطية حرة نزاعة للانطـــلاق ، وبين وطنية عسكرية موجهة حتى وصلت الى المرحلة الاخيرة مرحلة(الثورة اليمينية الثورة التى أدت الى «فرنسا التى يحكمها ديجول» أو بمعنى أدق الى «الجمهورية الخامسة» •

وفى خضم هذه المرحلة الطويلة مرحلة قرن ونصف من الزمان ، تركت الجمهورية الثالثة وراءها تراثا باليا وسقطت الجمهوريةالرابعة كما يتساقط بيت شيده صبى على رمال الساحل عند حافة البحر الثائر وواجهت فرنسا مشكلات مالية ، ومشـــكلات صناعية ، ومشكلات سياسية داخلية وخارجية •

وجاءت سياسة جديدة هى سياسة (الكبرياء المحمومة) وواجـه ديجول مجتمعه الفرنسى ، واضطر الجنرال صاحب صليب اللورين الى اتباع سياسة التقشف فى مالية الجمهورية الخامسة ، ووضـع الرجل طابعا جديدا طابع (العمل والادارة فى ظل نظـــام ديجول العسكرى) •

ومع هذا يبدو أنه من الصعب التخلص من التشاؤم ، فان المفهوم الفرنسي لكلمة «المجد» لا يتمشى مع هذه التغييرات السريعةالتي تكتنف العالم في منتصف القرن العشرين ، فضلا عن أن الحكومة الفرنسية الجديدة لم تكشف الا عن القليل منالرغبة لتتمشى مع عوامل الاصلاح الضرورية ، وهكذا يمكن أن تنتهى الى أن الجمهورية الخامسة ،عظمة في الهواء ٠

والواقع أن التشريع في عصر الجمهورية الثالثة كان يشق طريقه بصعوبة وسط دوامة المساومات ، غير متجاوب مع الاحتياج القومي وارادة الشعب ، ومع أن النظام السياسي على مابيدو كان صالحا قبل سنة ١٩١٤ ، ألا انه أثبت عدم كفايته في سنوات مابين الحربين (١٩١٨ـ١٩٣٩) ٠

وجاءت الجمهورية الرابعة ، لكنها لم تلبث أن سقطت بسببتنكبها في سياستها الاقتصادية التي بنيت على التضخم ، فقد عاشت فرنسا في النصف الاول من القرن العشرين بعقلية القرن التاسع عشر ، ومن ثمة كانت الجولة الاخيرة التي أدت الى خراب الجمهورية الرابعة ٠

والواقع انه عندما جاء ديجول الى الحكم كان اول ماتساءل عنه الناس : هل يتوافر للمجتمع الفرنسي المرونة الكافية التي تجعله يتلاءم مع الاحوال المتغيرة ؟

لكن كانت هناك مسألة أدق وأهم ، وسؤال أعقد وأشكل ، فهل ستستطيع فرنسا أن تحقق الاستقرار في نقدها ؟ وهل ستستطيع التغلب على نتائج مخلفات الادارة السيئة التي تتلخص في الاسراف وزيادة الاقتراض مع الفوضى في نظام الضرائب وسوء جباية الاموال أو مايمكن أن يقال عنه جملة سوء الادارة المالية المركزية ٠

، صحيح أن ديجول على مايبدو قد أدرك ـ وهو في طريقه للحكم محمولا على أكتاف أصحاب ثورة ١٣ مايو ـ أن العظمة بدون دعائم

اقتصادية ، وبدون توازن الاقتصاد القومى ليست عظمة، ولكن ديجول الذى أدرك هذا فى حينه قد تخلى عن الدرس الذى تعلمه عندما راح يدعو لان تصنع فرنسا أسلحة ذرية لنفسها فضلا عن ان الاتحادات الفرنسية التى تشكلها تعتبر هزيلة فى بنائها الاقتصادى وفى أداء التزاماتها .

ومن هنا تنتهى كل البحوث الى التشائم حول مقدرة الادارة الفرنسية على الادارة !! ومرة أخرى يمكن الانتهاء الى أن الجمهورية الخامسة (عظمة فى الهواء) .

على ان هذا الكتاب لم يجىء فى الطابع المفهوم للكتب فى الصورة المألوفة ، بل جاء فى دراسات مختلفة نشرتها مجلة « كارانت هيستورى» الشهرية وهى احدى الدوريات التى تصدر عن دار جريدة النيويورك تايمز الامريكية ، وتعنى بشئون التاريخ المعاصر فالكتاب اذن كتاب مجموع ، مجموعات دراسات متفقة الهدف يمكن أن تكون فيما بينها دراسة متكاملة للموضوع .

وكتاب هذه الدراسات نفر من الاعلام فى العالم الغربى ، عالج كل منهم مشكلة فرنسا المعاصرة من جهة ، وعالجها بعناية وأمانة ، ومن ثم جاءت فى الواقع تصور المشكلة على حقيقتها فى بساطة وايجاز تصويرا كان من الممكن أن يكتب فى مجلدات ، والذى يجب أن يلاحظ هنا هو أننا قدمنا هذه الدراسات كما جاءت فى عرض حر أمين .. دون أى تعديل للفظ أو اغفال لفقرة .

وأول هؤلاء الاعلام ، هانز كوهن» ، أستاذ التاريخ فى سيتى كوليدج بمدينة نيويورك ، وقد انصرف كوهن فى الخمس العشرة السنة الاخيرة لدراسة القوميات واصولها ومعانيها وله عدة دراسات عن (القومية) تستحق الدراسة وبخاصة كتابه «القومية معناها وتاريخها» الذى صدرت الطبعة السابعة منه أخيرا .

أما «دونالدماكاى» فقد تولى التدريس فى جامعة هارفاردمنذسنوات وله عدة مؤلفات فى تاريخ أوروبا والولايات المتحـــــدة ، وقد مات الاستاذ ماكاى فى ٢ من ابريل سنة ١٩٥٩ .

وادورد فوكس تولى التدريس بجامعة هارفارد قبل أن يتركها الى جامعة كورنيل ، وقد قضى فى فرنسا خمسة عشر شهرا من سنتى ١٩٥٥ و١٩٥٦ لاستكمال دراساته لتاريخ فرنسا الحديثة واتجاهات سياستها .

أوجين ويبر : مساعد استاذ التاريخ بجامعة كاليفورنيا ، وقدتولى التدريس بجامعات فرنسا لعدة سنوات بعد الحرب العالمية الثانية ، ويعنى بخاصة بعقائد ومستقبل أحزاب اليمين فى فرنسا وله كتاب بعنوان (انعاش القوميات فى فرنسا) .

بنيامين ريفلين : مساعد أستاذ العلوم السياسيه بجامعة بركلين قام بعدة أبحاث بين سنة ١٩٥١ وسنة ١٩٥٤ فى شمال افريقيةتحت رعاية مجلس أبحاث العلوم الاجتماعية ، وقضى سنة ١٩٥٦ وســنة ١٩٥٧ فى فرنسا وشمال افريقية ـ كمنحة دراسية للبحث ـ من مؤسسة فولبرايت .

الزارا كومستوك : أستاذة الاقتصاد بكلية مونت هوليوك تكتبكل سنة البحث الخاص بدول الكومنولث للحوليه التى تصدر بعنوان : (نيو انترناشيونال بيريوك) ولدائرة المعارف المسماة (وورلد بوك انسيكلوبيديا انيوفوال) .

فال لوروين : أستاذ التاريخ بجامعة أوريجون ، له كتاب (الحركة العمالية الفرنسية) اصدار مطبعة جامعة هارفارد ســـنة ١٩٥٤ ، واشترك فى كتابة عدة بحوث لدائرة المعارف البريطانية ، قضى فى فرنسا بعض الوقت أستاذا زائرا بجامعة ليون .

والواقع أنه يجب أن ينظر الى هذه الدراســـات من الزوايا التى استهدفها كتابها لا أن ينظر اليها كتلة واحدة فى جملة معا ، ومع هذا فهناك نقاط تستحق الدراسة أهمها :

• أيدت انتخابات فرنسا فى ٣٠ من نوفمبر سنة ١٩٥٨ ثورة ١٣ من مايو التى تعاون فيها الجيش الفرنسى والمستعمرون الفرنسيون فى الجزائر ولكن المجلس الذى جاءت به هذه الانتخابات يشبه (المجلس غير الموجود) الذى انتخب عام ١٨١٥ · المجلس الذى انتخب من غلاة دعاة الملكية فى عهد لويس الثامن عشر ·

• كانت نتيجة انتخابات نوفمبر سنة ١٩٥٨ تصويتا بالثقـــة بشخصية ديجول ، والتأييد الذى حظى به ديجول ليس غريبـا فقد سبق أن أعطت فرنسا هذه الثقة الجماعية فى سنة ١٨١٨ للبرنس لويس نابليون (نابليون الثالث فيما بعد) ، وفى سنة ١٩٤٠ للمارشال هنرى بيتان ، ومع أن الرجال الثلاثة يختلفون فان ثلاثتهم لجأوا الى تقاليد العسكرية الفرنسية ·

• ولدت الجمهورية الرابعة فى ظروف سيئة الطالع ، وقامت فكرة خاطئة فى قوة فرنسا الحربية على أساس أنها خرجت منتصرة من الحرب العالمية الثانية وقد انبعثت هذه النظرة من أطلال العسكرية الفرنسية والانهيار للفكر الفرنسى ·

• بدأت الجمهورية الرابعة برخاء للشعب الفرنسى وللعمـــال الفرنسيين ، وفى نفس الوقت عملت للتضامن الاوروبى ولتكوين حلف الاطلنطى · كما عملت مع بعض التردد لاتباع سياســة تحررية نحو المستعمرات الفرنسية ·

• حاول جى موليه تنفيذ هذه السياسة التحررية ، لكن بعد زيارته للجزائر هالته معارضة الجيش الفرنسى ومعارضة المستوطنين

الفرنسيين فعاد لفرنسا معتزما تغيير هذه السياسة وأملى الجيش والمستوطنون سياستهم فى ٦ من ابريل سنة ١٩٥٨ وكان هذا هو سر موت الجمهورية الرابعة فى ١٣ من مايو بعد سنتين وشهرين .

- مع ان ديجول فى أكتوبر سنة ١٩٥٨ كان امام فرصة لاتخاذ خطوة تدل على الجراة وطلب مفاوضة الجزائريين ، ولكنه بدلا من هذا ، طلب منهم التسليم ، وبذلك نفذ سياسة ثورة ١٣ مايو والاتجاه نحو ضم الجزائر لفرنسا .

- فى المستقبل البعيد قد يصبح أمل الديمقراطية الفرنسية فى رجل من طراز «فنسان أوريول» لامن طراز ديجول ، وقد استقال اوريول أول رئيس للجمهورية الرابعة يوم ١٢ من فبراير سنة ١٩٥٩ من الحزب الاشتراكى بعد أن قضى فى عضويته ٥٤ سنة لانه رأى كل شيء يتدهور .

- استفتاء ديجول بتاريخ ٢٨ من سبتمبر سنة ١٩٥٨ انتهى الى أن طلبت كل المستعمرات الافريقية الحكم الذاتى داخل الرابطة الفرنسية عدا غينيا التى طلبت الاستقلال بزعامة سيكوتورى .

- تكونت جمهورية مالى فى ١٧ من يناير سنة ١٩٥٩ من السنغال والسودان الغربى وجمهورية فولتا العليا وداهومى .

- مع تركيز الانتباه الى المسرح الفرنسى المتغير والدائم فان الجمهورية الثالثة هى الموصل لهذا التطور ثم هى التى كشفت عن المشكلات الفرنسية التى كانت محتملة أو كامنة قبل سنة ١٩١٤ وجعلتها أميل للوضوح والامتداد خلال السنوات فيما بين الحربين

- يلاحظ أن احصاءات التعداد فى فرنسا بين ١٨٤٦ و ١٩٣١ وقفت بعدد السكان فى الريف الفرنسى بين ٧٥ و ٥٠ ٠/٠ على التوالى ،

والفلاح المحدود المصالح يرتبط بالارض ، والفلاح الفرنسي يعارض الاصلاح لنفسه وللباحثين ، وهو لم يتكيف مع المجتمع الصناعي كما حدث من الفلاح الامريكي ٠

- كانت جماعات صغار التجار عاملا طفيليا ينمو على حساب الاقتصاد وكانت هذه الجماعات في العصر الحديث عصب حركة «بوجاد»٠

- بدأت الحركة العمالية ضعيفة فيما بعد سنة ١٨٩٠ وفي سنة ١٩١٤ كان «حزب العمال» أقوى الاحزاب في البرلمان الفرنسي ، وكان من الناحية الظاهرية يسير في أسلوب حزب العمال البريطاني الذي ينمو ، ولكنهم بعد سنة ١٩٤٤ اتجهوا للناحية الشعبية

- يود الفرنسيون أن يشيروا الى اقتصادهم على أنه متوازن ، انتاج زراعي يتوافر معه اكتفاء ذاتي ، وانتاج صناعي لايعتمد كل الاعتماد على التجارة الخارجية ٠

- عند تحليل البناء الاجتماعي لفرنسا نجد أنه من الطبيعي أن ننظر الى التضاد بينها وبين انجلترا ، ففي انجلترا سبقت الثورة السياسية الثورة الصناعية بقرن على حين أن فرنسا اضطرت لمواجهة مشكلات الامرين في السنوات بين ١٧٨٩ و١٩١٤ ٠

- وجدت فرنسا بأنه من المستحيل أن تحل مشكلة الاصلاح الدستوري بالمناقشات السلمية والتشريعات والتغييرات الاساسية وقد جاءت نتيجة ثورات عكسية ونفس اصلاحات ديجول الدستورية لم تكن مستطاعة الا بالموقف الثوري في الجزائر ٠

- لاتقدم السياسة الخارجية للجمهورية الثالثة - مع الاسف - أي دروس مباشرة نافعة للزعماء اليوم ، وقصة الدورة الاولى بين

١٨٧١و١٩١٤ توضح الفكاك اللامع من العزلة التى فرصها بسمارك على فرنسا مع الخطوات الناجحة لعودة فرنسا ثانية الى مصاف الدول الكبرى .

- كانت الدورة الثانية للجمهورية الثالثة هى السنوات التى بين الحربين وهذه الدورة مليئة بالدروس (عمالايجب عمله)، وتصلح هذه أيضا كدروس للانجليز والامريكان على حد سواء .

- عادت فرنسا من جديد لاقامة حلف من دول الدرجة النانيه ، وكان التنظيم كافيا مادامت فرنسا ضعيفة ، ولكن وضح فىالافق تهديدين : قوةهتلر ، وزيادة قوة الروسيا ،وعملت فرنسا بسرعة للتسلح خلف جدار لم يتم ، هو خط ماجينو غير الكامل ، فكانت النتيجة هزيمة منكرة على مانعرف .

- لم تكن الجمهورية الرابعة نظاما قد تقوض تحت وقع الضغط الكبير ، بل وكان أيضا مرحلة من تاريخ فرنسا كانت مليئه بالامل ، ولا يعنى هذا القول الاستهانة بنهاية القصةبل يستهدف به ابراز الاسباب التى أدت لهذه النهاية ولابراز الى اى مدىكانت هذه الضربات القاتلة التى قضت على الجمهورية الرابعة مالية ودستورية وسياسية ومعنوية .

- واجه الفرنسيون غداة التحرير عدة اختبارات هامة لم تكنقاصرة على شكل الجمهورية بل شملت أيضا شكل المجتمع ، وكان أول قرآر هو القرار الذى خسر منديس فرانس معركته عن سياسة التقشف وايجاد نقد ثابت وميزانية متوازية .

- مر اختيار شكل الحكومة بعدة تجارب ، ومع أن الشعب كانيميل الى تشكيل جمعية ثورية فان الاستفتاء لم ينجح ، وفى الاستفتاء الثانى قبل دستور اشبه بدستور الجمهورية الثالثة على انه.

أحسن الموجود ، ولما لم تقبل الجمهورية الرياسية ، فقد انصرف ديجول من المسرح السياسى ليعود بعد فترة قصيرة ليعلن قيـام الجمهورية الجديدة ٠

- الوثيقة الدستورية التى أنشأت الجمهورية الرابعة كونت فى نفس الوقت الاتحاد الفرنسى من فرنسا والمستعمرات والممتلكات عبر البحار والمحميات ٠

- أنقذ مشروع مارشال أوروبا ولكن دون أن يوقف تيار الحوادث التى اكتسحت العالم الحر خلال الاثنتى عشرة السنة التالية ٠
٠ مكن مشروع مارشال من بعث الحياة فى المجتمع الاقتصادى وتولت فرنسا القيادة وتم انشاء منظمة الفحم والصلب ، وبرز فى أوروبا ثلاثة كاثوليك محافظين هم‌شومان فى فرنسا واديناور فى ألمانيا ودى جاسبرى فى ايطاليا ، وكان رد الاتحاد السوفيتى قلب نظام الحكم فى تشيكوسلوفاكيا وحصاربرلين واعادةتسليح الاحزاب الشيوعية ٠

- أعادت الازمة الوزارية فى يونيو ١٩٥٣ منديس الى الحكم وبـدأ علاجه ببرنامج مالى آهم مافيه وقف الحـــرب الصينية ، على ان منديس فرانس لم ينجح فى أن يجد شيئا يعوض عن معاهـــدة الدفاع الاوروبى فسقطت وزارته ٠

- سببت الاضطرابات السياسية ، حرب الجزائر وحملة السويس الطائشة وازدياد نفوذ العسكريين فى الجزائر ، وازدحام المسرح بالسياسيين الانتهازيين ووضح ضعف الحكومة وهنا ظهر ديجـول من جديد بعد أن اكتملت له جميع مبررات ظهوره ٠

- العوامل التى تؤثر على سياسة الجمهورية الخامسة كما أثرت على الجمهورية الرابعة التى سبقتها هى : «المعاهدات ، والمحالفات ».

والمنظمات الدولية التى اشتركت فيهامنذنهاية الحرب ، ثم الرأى العام وتوجيهاته وميوله وتركيزه على المسائل المختلفة ، كما أن هناك أيضا شخصية ديجـــول ، آراؤه وما يمكن أن يستنبط بالدراسة والبحث ٠

- وقع ديجول عشية التحرير معاهدة مع الروسيا لاتزال قائمة ، ووقعت فرنسا معاهدة دنكرك سنة ١٩٤٧ بين بريطانيا وفرنسا ضد أى عدوان ألمانى جديد ، ثم انضمت بلجيـــكا ولوكمبورج وهولندا ، ثم انضمت ايطاليـــا والمـــانيا واصبحت المعـــاهدة حلف دول غرب أوروبا ضد الروسيا مع أن هذا الدفاع ضـــد الروسيا كان فى حد ذاته قضية خاسرة ٠

- منظمة الفحم والصلب عجزت عن تنفيذ الاتفاقات التى قامت من أجلها وحلت قوانين الغاب محل قواعد المعاهدة ، ولجأت كل دولة من الاعضاء الى خرق نصوص المعاهدة كلما كان ذلك من مصلحتها ٠

- النقطة التى تبدأ منها السياسة الخارجيـــة الفرنسية هى أن التكوين المتعدد الجوانب للمحالفات فى أوروبا قد اختير بميلاد أو استقلال دول جديدة فى آسيا وأفريقيا ، وبانتقال الصراع بين المعسكرين من اوروبا الى الشرق والشرق الاوســـط مع علاقات عدائية مع العالم العربى ، واتفاق ودى متزايد مع اسرائيل ٠

- فى الرأى العام الفرنسى اتجاهات جديرة بالملاحظة ٠

× فرنسى واحد من كل عشرة يعتبر الولايات المتحدة هىالمسئول الاول عن الاضطراب فى العالم ٠

× وفرنسيان فى كل عشرة يعتبران بأن الروسيا مسئولة أكثر من أى دولة أخرى ٠

× أربعة فرنسيون من كل عشرة يعتبرون ان الدولتين مسئولتان بالتساوى عن الاضطرابات التى تسود العالم .

◆ منذ أن تولى ديجول زمام الحكم استعادت السياسة الفرنسـية ثقتها بنفسها واستعادت مقدرتها على اتخاذ القرارات وذلك ماكان يعوزها خلال السنوات العشر الماضية .

• أعلن ديجول فى رحلته أن للممتلكات الفرنسية حق اختيار مصيرها فى استفتاء ٢٨ من سبتمبر سنة ١٩٥٨ ، بل وأعلن أن الممتلكات التى تصوت بكلمة (نعم) وتنضم للمجتمع الفرنسى الجـديد تستطيع مستقبلا أن تغير رأيها ، وهذا يتعارض مع ماقاله فى مؤتمر برازفيل فى يناير سنة ١٩٤٤ من أن هناك ارتباط دائم بين فرنسا وممتلكاتها، وقد رفض بطريقة حتمية فكرة الاستقلال كما استبعد فكرة الحكم الذاتى بل رفض أى تطور محتمل خارج كتلة الامبراطورية الفرنسية .

◆ يرجع تحول ديجول الى : ـ انتصار القومية الوطنيـة فى عالم المستعمرات مما أدى الى استقلال ١١ دولة ثم فشل الجهـود الفرنسية فى التمشى مع التطورات التى تسير بخطى سريعة .

◆ كان رد فرنسا على انتشار الوعى القومى مشروع الاتحاد الفرنسى ولكن الوحدة هنا لاتقوم بين أعضاء متساوين فى الحقوق عـلى غرار الكومنولث البريطانى . بقدر ماتقوم على أساس نظام تتمتع فيه فرنسا بمركز المسيطرة ثم أن الممتلكات عبر البحـار ظلت تحت حكم ولاة تعينهم فرنسا ويتمتعون بالمسئولية الوحيدة ، ولهذا فلا غرابة اذا لم يثبت الاتحاد أنه ند للقومية الو طنية .

◆ لم تنجح سياسة الكبت الا فى القضاء على الثورة فى مدغشقر ، وسبب فشل السياسة تلو الاخرى ضياع فيتنـام ، لاوس ،

كمبوديا ، مراكش ، تونس كمـــــا أدى الى الحرب المريرة فى الجزائر ·

- أصدرت فرنسا قانون سنة ١٩٥٦ لمواجهة الحال فى غرب أفريقية وفى أفريقية الاستوائية ، وأدخلت بعض الاصلاحات على نظـام الحكم القائم فى الثمانى الحكومات الوطنية فى غرب أفريقية وعلى الممتلكات الاربع فى وسط أفريقية ، وشكلت مجالس وطنية تعنى بالمسائل الداخلية ومع وجود الحاكم الذى هو الرئيس الفعلى لكل مجلس الا أن السلطة فعلا فى يد نائب الرئيس المنتخب ·

- جاء استفتاء سنة ١٩٥٨ نتيجة لزيادة تأثير اسـتقلال غانا فى الافريقيين ثم نتيجة لادراك المتاعب التى لاقتها فرنسا فى الهند الصينية والجزائر عندما واجهت تحدى القومية فى المستعمرات ولكن ديجول مع عرضه حق الممتلكات فى الاستقلال أشار الى حق فرنسا أيضا فى الانفصال ، أى هدد بقطع المعونة المالية وقطـع الروابط الاقتصادية وسحب الفنيين الفرنسيين وهكذا ·

- مهدت المادة ٨٨ من الدستور الفرنسى الجديد الى الاتفاق مع الدول التى ترغب الارتباط بهذا المجتمع لتنمية حضارتها برغم استقلالها وتنطبق هذه المادة على غينيا وعلى بلاد شمال افريقية وبلاد الهند الصينية وعلى توجولاند والكميرون اللتين تحت وصاية فرنسا باسم الامم المتحدة ·

- فرنسا هى التى تتولى نيابة عن مجتمع الدول الفرنسية الشئون الخارجية والدفاع والنقد والسياسة الاقتصادية الخارجيـــــة والعلاقات التجارية وسياسة المواد الخام ، وهى سلطات مخولة للاتحاد ككل ، ولكن فرنسا تمثل العملاق فى مجتمع أقزام ·

- حق الاختيار الوارد فى المادة ٨٦ من الدستور الجديد لاينطبق على الجزائر لانها لم تعتبر ولاية بل اعتبرت جزءا من الوطن الأم نفسه ، ولكن فى تصريحات ديجول مايدل على أنه يعترف بأن الجزائر ليست فرنسا بل انه يعارض سياسة الجماعة التى مهدت الطريق لعودته بالحكم من ناحية رغبتها فى الاندماج الكامل للجزائر فى فرنسا .

- اللغة التى استخدمها ديجول فيما يتعلق بمستقبل الجزائر لغة مبهمة الا أنه أوضح فى جلاء بأن تيار المتطرفين لن يجرفه ، وديجول يتحدث عن ارتباط الجزائر الوثيق مع فرنسا الام ،ولم يتحدث عن الجزائر كجزء من فرنسا الأم .

- قيام اتحاد فدرالى فى شمال افريقية سيمكن من الاثر السىء للموقف فى الجزائر .

- يشبه الفرنك الفرنسى بين عملات غرب أوروبا الرجل الدائم المرض ففى نهاية الحرب العالمية الثانية كان الدولار الامريكى يساوى ١١٩ فرنكا فاصبح فى أول سنة ١٩٥٨ يساوى ٤٢٠ فرنكا وفى ديسمبر سنة ١٩٥٨ كان الدولار يساوى ٤٩٣ر٧ فرنكا .

- مع أنه من خطل الرأى دعم الوحدة النقدية عديمة القيمة بمواصلة اضعاف قيمتها ، الا انه فى حكم ديجول صحب الانخفاض عدد من الاصلاحات المالية التى تستهدف تثبيت السعر الجديد مع دعم الاقتصاد الفرنسى ككل .

- الفرصة المأمولة لسياسة مالية سليمة ميزانية متوازية لا تلائم المصالح المعقدة فى فرنسا فى الوقت الحاضر كما لم تلائمها سنة ١٩٥٤ عندما أسقطت المعارضة منديس فرانس فى أوائل سنة ١٩٥٥ .

- مع أن عضوية اتحادات العمال مفهوم غامض مفكك ولا توجد أرقام تكشف عن عدد الاعضاء المسددين للاشتراكات ، كما انه لايفهم لهذه الارقام أى معنى ، ألا ان اتحادات العمال لها أثر سياسى فعال ، واحيانا تعتبر حقيقة سياسية هامة .

- يعتبر ديجول الأب الرمزى الذى كانت فرنسا تتوق اليه منذ عهد لويس فيليب .

- يقطع ديجول برنامج الاذاعة ليقول كلمات بسيطة مدروسة يستهدف بها أن يشرح للناس لماذا يجب أن يفعل هذا أو ذاك ، ويعد الناس بالعظمة مكافأة لهم على شد أحزمتهم على بطونهم فى الوقت الحاضر .

- ديجول يبشر الناس بالفرنكات الثقيلة ولكن الناس لا يفهمون ماذا يعنى بها ..

- مما يحير الناس ما يقوله بيناى عن فرض الضرائب تبعا للمظهر والاسقف الذى ينفق على نفسه وخادمه الكهل وسيارته التى يزور بها كنائس ابرشيته من صدقات المحسنين يظن انهم سيعتبرونه يكسب مليونين ويفرضون عليه ضرائب على هذا الاساس .

- الحديث الذى تسمعه من أحد أعضاء الاكاديمية فى باريس هو نفس الحديث الذى تسمعه من أى فلاح فى نورماندیا ، حديث عن نفقات المعيشة وعن الضرائب وعما يمكن أن ينتهى اليه هذا كله .

- الامريكان يقولون أنهم يسمعون فى فرنسا أحاديث عن المال والضرائب أكثر مما يسمعون عنهما في بلادهم .

- لو اجرى استفتاء سبتمبر الماضى مرة ثانية فى فرنسا لما حصل ديجول الا على معدل بين ٢٠ و ٥٠ ٪ من الاصوات لان التأييد الجماعي جاء نتيجة سوء فهم الناس .

- اليمينيون يعتبرون ان ديجول قد خانهم .

- ان عددا كبيرا من الذين كانوا وراء حركة ديجول ينظرون اليه الآن على أنه تحول عنهم بحيث لا يمكنهم بعد من السيطرة عليه
- اكتشف البعض أن دبريه رئيس وزراء فرنسا أصله لأمه يهوديا مما جعل بعض الصحف المناهضة للسامية تمنحه نصيبه كاملا من السباب .
- لايتمتع الجناح اليسارى ولا منديس فرانس البائس بتأييد شعبى فى الوقت الحاضر .
- ديجول رجل متصوف يحدوه شعور بأن له رسالة سامية وهو يعتقد بهذا اعتقادا جازما لدرجة ان الظروف لا تعنى شيئا بالنسبة له .
- عندما يقول ديجول : (أنا فرنسا) أو عندما يتحدث عن نفسه فى مذكراته بصيغة الضمير الغائب ليس هذا تفاخرا منه بل اعتقادا حقيقيا بأنه هو الشخص الذى تتحقق على يديه عظمة فرنسا التى هى عظمة فى الهواء .

وهكذا يصل الحديث فى ختام هذه الدراسات ليقدم اجابة كاملة عن السؤال الذى يدور بخلد الكثيرين « ما حقيقة الاوضاع فى فرنسا ، وعلى أى طريق تنحدر هى نحو الهاوية » .

والغريب أن تكتب السطور الاخيرة من هذه الترجمة العربية وفى فرنسا ثورة مكبوتة وفى الجزائر ثورة ملتهبة وحرب مستعرة .

واذا كان ديجول قد استطاع أن يسيطر على الثورة التى قام بها المستغلون الفرنسيون فى أرض الجزائر ، فانها سيطرة موقوتة ، ومن الواضح آن فرنسا بالادوار التى تلعبها فى الميدان الدولى لمحاولة استعادة مكانة قد ضاعت ، انما تتعجل مرحلة الانحدار .

محمد عبد الفتاح ابراهيم

الثورة اليمينية فى فرنسا

بقلم هانز كوهن

استاذ التاريخ بكلية « نيويورك سيتى » الامريكية

ان ثورة ١٣ مايو سنة ١٩٥٨ التى بدأت بتعاون الجيش الفرنسى مع المستعمرين الفرنسيين فى الجزائر قد أيدتها الانتخابات الفرنسية التى عقدت فى ٣٠ نوفمبر ١٩٥٨ ، وقد قارن « ريموند آرون » و « هوولتر ليبمان » الصحافة الفرنسية المجلس الفرنسى الجديد بالمجلس الغير الموجود الذى أنتخب عام ١٨١٥ ، كان مجلس عام ١٨١٥ مجلسا مكونا من غلاة الملكية ذهب فى رغباته وآماله الى أبعد ما كان يرتجيه لويس الثامن عشر ، فالنواب الجدد الذين أنتخبوا باسم الملكية حاولوا أن يضعوا الملك المعتدل فى مركز ثانوى ، وسرعان ما تشكك لويس الثامن عشر فى نجاحه فى مواجهة مجلس ملكى منتخب على اسس قانون آنتخابى جديد ، ثم مواجهة تحول مفاجىء من جانب الناخبين الفرنسيين نحو أقصى اليمين ، والموقف آليوم يشبه هذا الى حد بعيد ..

فكما كانت انتخابات عام ١٨١٥ نجاحا ظاهريا للملك ، كذلك انتخابات ديجول فى نوفمبر ١٩٥٨ كانت فقط نجاحا ظاهريا له . لقد كانت فى الحقيقة قبولا لثورة ١٣ مايو بواسطة غالبية الشعب الفرنسى ، وكانت أكثر من تصويت بالثقة بشخصية ديجول الغامضة ، لقد فاقت هذه الانتخابات ما كان يرتجيه ديجول حتى اليوم ، فان تأييد فرنسا لديجول قد فاق تأييدها للمجلس الجديد ، وهذا التأييد للجنرال ديجول ليس ظاهرة غريبة فى تاريخ فرنسا فكذلك أعطى تأييدا ساحقا عام ١٨٤٨ للبرنس لويس نابليون ، وفى يونية ١٩٤٠ للمارشال هنرى بيتان الذى حوكم وسجن .

ان الرجال الثلاثة لويس نابليون ، وبيتان ، وديجول ، شخصيات تختلف عن بعضها كل الاختلاف ، ومن بين هؤلاء الثلاثة تعتبر شخصيه ديجول أبعدها أثرا ، ورغم هذا فان ثلاثتهم قد لجأوا الى العسكرية الفرنسية وتقاليدها ، وتأييد هذه الحركات بالانتخابات كان تحولا نحو اليمين الوطني ، وانتخاب ثلاثتهم كان تصويتا ضد الديمقراطية واتجاها تقليديا فرنسيا نحو العظمة ، رغم أن كلا قد فسر ما فى التاريخ الفرنسى تفسيرا يختلف فى نوعه عن الآخر ..

الديمقراطية والجمهورية الرابعة :

لم يكن الرأى العام العالمى عادلا فى نظرته نحو الجمهورية الفرنسية الرابعة فقد انبعثت من بين أطلال العسكرية الفرنسية والانهيار الفكرى لفرنسا فى الحرب العالمية الثانية ، وقد قامت على الفكرة الخاطئة من أن فرنسا خرجت ظافرة من الحرب العالمية الثانية وأن قوتها الحربية عظيمة ، وهى وقد أثقلها تراث الهزيمة والنصر وهو تراث لم يكن يوما مهضوما من الناحية العقلية أو الروحية ، فان الجمهورية الرابعة ولدت فى ظروف سيئة الطالع ..

وفى انخابات يناير ١٩٥٦ اعطت غالبية الناخبين الفرنسيين أصواتها الى جانب تحالف بين الاشتراكيين والراديكاليين بقيادة « جى موليه » مجرم الحرب الفرنسى وبين منديس فرانس . وقد أعلن جى موليه قبل الانتخابات أن الحرب فى الجزائر سخافة وطلب اجراء مفاوضات وتهدئة مع الجزائريين الذين يحاربون من أجل استقلالهم ، ولكنه عندما ذهب الى الجزائر فى يوم ٦ فبراير ١٩٥٦ عقب الانتخابات مباشرة لتطبيق برنامجه هالته معارضة الجيش الفرنسى والمستوطنين الفرنسيين ، فقبل سياستهم ولدى عودته الى باريس حاول تنفيذها .. وقد قام هو وصديقه لاكوست وكلاهما

عضو فى الحزب الاشتراكى ، بحملة أرهابية لا هوادة فيها بدأها الجيش الفرنسى للقضاء على طلبات الجزائريين من أجل الاستقلال ، وهى على ما يبدو أسود نقطة فى سجل الاستعمار الاوروبى فى آسية وافريقية وقد نجح الجيش الفرنسى والمستوطنون الفرنسيون فى الجزائر فى املاء سياستهم على الجمهورية الفرنسية وذلك فى يوم ٦ أبريل ١٩٥٦ ، وقد كان هذا السرطان سببا فى موت الجمهورية الفرنسية الرابعة•وبثورة١٣ مايو١٩٥٨ أكمل المستوطنون الفرنسيون والجيش الفرنسى النجاح الذى أحرزوه فى فبراير ١٩٥٦ ••

وفى انتخابات نوفمبر ١٩٥٨ أحرزت القوات المعادية للديمقراطية فى فرنسا نجاحا ساحقا ، وقد كان هذا الى حد ما نتيجة القانون الانتخابى الجديد • وقد أعطى المجلس الجديد مظهرا قل أن رؤى فى تاريخ البرلمانات الفرنسية •• فهو مجلس بدون معارضة ، ويمثل الاحزاب الديمقراطية حوالى ٥٠ عضوا والشيوعيين عشرة أعضاء رغم أن الديمقراطيين والشيوعيين نالا حوالى ٤٠٪ من أصوات الناخبين وفى مقابل هذا تجمعت اغلبية قوية من ١٨٨ نائبا فى « اتحاد من اجل الجمهورية الجديدة ، ١٣٢ من النواب المستقلين ، ٧١ نائبا من الجزائر انتخبوا تحت رعاية الجيش الفرنسى ، ولا يمثلون سوى الجناح اليمينى المتطرف للمستوطنين الفرنسيين فى الجزائر ، حتى جى موليه الذى كان أحد كبار المعضدين لديجول فى الخريف الماضى أجبر على الوقوف فى صف المعارضة للجمهورية الخامسة كما قالت نتيجة هذه الانتخابات ••

ولكن نجاح الجماعات الوطنية المتطرفة فى الانتخابات الاخيرة لم يكن نتيجة القانون الانتخابى الجديد ، فقد عكست خلق عدد كبير من الشعب الفرنسى وهو خلق تكون كما فى ديسمبر ١٨٤٨ ويولية ١٩٤٠ دون مبالاة بالسياسة بصفة عامة ، ونتيجة الاشمئزاز من الديمقراطية ، والى جانب هذا قامت موجة من الوطنية المعادية

للاجانب اكتسحت اجزاء شاسعة من الدوائر الانتخابية الفرنسية وكلما كان للناخبين الخيار بين نائب معتدل من أتباع ديجول وآخر وطنى متطرف أعطوا أصواتهم للمرشح الذى ينادى بسياسة الحرب التى لا رحمة فيها ضد الجزائريين الذين ينادون بتقرير مصيرهم وللمرشح الذى يؤكد عظمة العسكرية الفرنسية وقوتها المثلة فى الاحتفاظ بأمبراطوربة المستعمرات الفرنسية ..

والفرق بين الديجولية الاصيلة والجمهورية الخامسة كما ظهرت يتضح غاية الوضوح بالمقارنة بين موقف « أندريه مالرو » الذى كان أول وزير لديجول فى وزارة الاستعلامات وبين السياسة الرسمية الجزائرية . ففى مؤتمر صحفى سابق وعد « مالرو » بأطلاق سراح « رحمانى » وهو ضابط جزائرى مسلم فى الجيش الفرنسى كان مسجونا . وفى خطاب لرئيس الجمهورية وصف الحزن الذى تسببه له الحرب الجزائرية وطلب وضع حد لتعذيب المشتبه فيهم من الجزائريين وأرسال ثلاثة من كبار الكتاب الفرنسيين للتحقيق فى حوادث التعذيب . ولا زال رحمانى فى السجن ولم يذهب الكتاب أبدا الى الجزائر وفى ١٧ فبراير سنة ١٩٥٩ أعلنت جماعة محايدة من المحامين الفرنسين برباسة « رينيه وليم ثورب » الذى كان رئيسا سابقا لهيئة المحاماة الاتهام الآتى :-

« الالتجاء الدائم فى الجزائر الى بعض الوسائل الغير الانسانية والى اجراءات القصاص غاية فى القسوة فى شتى أنواع التعذيب وظهور هذه الحالات فى العاصمة ووجود حالات اختفاء دون تبرير لاسبابها فى معسكرات الاعتقال »

أما الصحافة الحرة مثل مجلة « اكسبريس » التى تتبع سياسة منديس فرانس فتصادرها الحكومة . وليس هناك من حل يبدو فى

الافق فيما يختص بالجزائر ‥ وعلى العكس ينمو سرطان الجزائر ويلتهم حيوية الديمقراطية الفرنسية ، وكما فعل جي موليه يتحاشى ديجول الحلول السياسية ويعد بالاصلاحات الاقتصادية دون أن يتمكن من البدء في تنفيذها ويسمح للجيش بالاستمرار فى استعمال وسائل القمع فى الجزائر ، أما (مالرو) فقد أصبح فى الصفوف الخلفية ‥

وقد أصبح جاك سوستيل عميل اسرائيل والمستوطنون الفرنسيون المنتصرين الحقيقيين ، ولا زالت مشكلة الجزائر ابعد عن الحل اكثر مما كانت قبل الجمهورية الخامسة وقد كرر ميشيل دوبريه رئيس الوزراء الفرنسى الذى عينه الرئيس ديجول فى ٩ فبراير سنة ١٩٥٩ تصميمه القاطع للمحافظة على السيادة الفرنسية والسلطة في الجزائر وعبارة « الجزائر الفرنسية » التى كانت صيحة المعركة للمتطرفين الفرنسيين فى ١٣ مايو ١٩٥٨ تأكد وجودها بأن أصبحت السياسة الفرنسية الرسمية ‥

مركز ديجول :

ولكن ما هو مركز ديجول فى هذا التطور السريع للقومية الفرنسية المتطرفة ؟ لاأحد يعلم ! ففى أكتوبر الماضى كانت الفرصة مواتية لاتخاذ الخطوة الدالة على الشجاعة لاجراء مفاوضات مع الوطنيين الجزائريين ، وبدلا من هذا طلب منهم التسليم ، وهو المسئول عن اجراء انتخابات في الجزائر لانتخاب اعضاء يعتنقون فكرة ضم الجزائر لفرنسا ، وبذلك نفذ الطلب الرسمى لثورة ١٣ مايو ١٩٥٨ بضم الجزائر لفرنسا ، وقد طلب الحبيب بورقيبة وهو صديق مخلص لفرنسا وديجول والغرب مقابلة ديجول لتقديم وساطته فى الحرب الجزائرية فلم يجبه ديجول وفى ١٧ فبراير نبه الرئيس بورقيبة الى التدهور الخطير فى العلاقات التونسية الفرنسية ، ورغم كل هذا فلا زاله

الكثيرون من أصدقاء فرنسا والاحرار فى داخل فرنسا أيضا يعتقدون أن ديجول صمام أمن فى فرنسا ضد التحول السريع نحو القومية اليمينية المتطرفة · وقد يكون لآملهم ما يبرره ،ولكن الجنرال ديجول بالطبع يخضع لجميع نوازع الطبيعة البشرية ، وقد يتبع طريقة الانسحاب التى أعلنها من قبل ، والامل فى أن يمنع ديجول تدهور الديمقراطية فى فرنسا ، قد لا يكون املا زائفا ··

وتجارب الفرنسيين خلال المائة والخمسين عاما الماضية كانت عرضة للتحول والتغير ، لقد وجدت فرنسا نفسها مرارا عند مفترق الطرق اما الى ديمقراطية حرة او الى وطنية عسكرية موجهة ، ورغم الازمات والثورات المعارضة أثبتت الديمقراطية الفرنسية أن تضع أملها فى رجل من طراز « فنسان أوريول » أكثر مما تضعه فى ديجول وفى ١٢ من فبراير ١٩٥٩ أعلن أن أوريول أول رئيس للجمهورية الرابعة قد استقال بعد ٥٤ عاما من عضويته فى الحزب الاشتراكى وعلى غرار « موليه» ناصر ديجول فى مايو ١٩٥٨ ، لكنه لسنوات طويلة وقف فى وجه « موليه » لانتهازيته الجافة وسياسته الحربية فى الجزائر ، كتب أوريول فى كتاب استقالته الموجه الى الحزب الاشتراكى : « اليوم أرى كل شىء يتهاوى فى وقت يلزم فيه تضافر القوى فى نظام اشتراكى حقيقى واحد له مثله الاعلى وسياسه واضحة تتفق والعالم الحديث ، ويضم جميع العمال الموزعين بين الحزبين الشيوعى والاشتراكى » ، وأناس مثل ديجول هم الذين يرعون تقاليد الديمقراطية الفرنسية · وهو لا يقف فى الميدان بمفرده ، فما من شك أن قوات الديمقراطية الفرنسية والمعارضين لسياسة الحرب شديدة القسوة فى الجزائر لازالت قوية فى فرنسا

والمجد الذى يبحث عنه كثير من الفرنسيين اليوم للمحافظة على امبراطوريتهم وتعويضهم عن هزيمتهم فى عام ١٤٩٠ مجد فات أوانه· فهو لا يتفق مع العالم سريع التغيير ، عالم منتصف القرن العشرين·

والمجد الفرنسى لا يقوم على التوسع الامبراطورى او القوة الحربية ولكنه يقوم على العبقرية الادبية والفنية والقدرة على خلق وسائل اكثر حرية وانسانية لحياة الفرد والتعاون الاجتماعى ·

سراب الامبراطورية :

وفى خضم هذه التغييرات السياسية التى حدثت فى القرنين الماضيين لم يظهر نظام الحكم الفرنسى اتجاها قليلا نحو الملاءمة . فقد تنازلت الحكومة عن بعض أمتيازات بالقول لا بالحقيقة · ففى ديسمبر ١٩٥٦ نبذ الاتحاد الفرنسى الجديد فكرة النظام الاستعمارى وذلك بصفة رسمية وخضوع الافريقيين والاسيويين للسيطرة الفرنسية ، ولكن ظلت هذه قصاصة ورق · لقد قارنها بعض الكتاب الفرنسيين بالكومنولث البريطانى · ولكنهم نسوا أن الكومنولث مكون من دول شبه مستقلة تقريبا لكل سياستها الخارجية الخاصة تتعاون على اساس من المساواة التامة ولا شىء من هذا قام فى الاتحاد الفرنسى ، ولا فى المجتمع الفرنسى الذى حل محله فى عام ١٩٥٨ .

ومع هذا فان المجتمع يثبت نجاحا مؤكدا بدأ بقانون ٢٣ يونية ١٩٥٦ وهو احدى الخطوات التحررية التى اتخذتها الجمهورية الرابعة ، أما استفتاء ديجول الذى تم فى ٢٨ سبتمبر ١٩٥٨ فهو خطوه أخرى الى الامام · فقد خير المستعمرات الفرنسية بين أربعة أمور :-

١ - الاستمرار فى قبول الحالة الراهنة ··

٢ - تتبع الادارة المركزية الفرنسية فى العاصمة ·

٣ - الحصول على الحكم الذاتى فى حدود ضيقة جدا فى داخل المجتمع الفرنسى ··

٤ - الحصول على الاستقلال ··

وقد اختارت جميع البلاد الهامة الحكم الذاتى عدا واحدة فقط وهى غينيا بزعامة سيكتورى تخيرت الاستقلال ، ولكن حتى الذين أختاروا الحكم الذاتى اختاروه كخطوة نحو الاستقلال ، وزعمــاء المستعمرات الفرنسية لا يرفضون التعاون مع فرنسا ويمكن لفرنسا أن تعتمد على رصيد ضخم من حسن النية قبلهم ، ولكنهم يرغبون فى مواجهة فرنسا مواجهة الند للند ، وكانت الحكومة الفرنسية - على ما يبدو - تأمل فى أن تحتفظ بكيان الحكم الذاتى لكل منهما مفضلا على جيرانها الآخرين حتى تتمكن فرنسا من آن تتعامل مع كل من الاثنى عشرة ولاية من الولايات الضعيفة بمفـردها ، وبذلك تستمر السياسة القديمة سياسة فرق تسد ، وفى الوقت الذى تسعى فيه الدول الاوروبية بحق للاتحاد فقد رفضت أعطاء العرب أو الافريقيين حق الاتحاد الفدرالى ، وذلك لكى تواجه فرنسا بقوة فى أى ميدان .

الوحدة الافريقية :

ولكن افريقية تكتسحها اليوم موجة من آلرغبة فى انهــاء الحكم الاستعمارى والزعماء الافرنقيون يعلمون تمام العلم أن الحدود الفاصلة بين المستعمرات المختلفة انهىالا خطوطقد اختطها آلغزوالاستعمارى والترتيبات الخارجيــة ولا يرغب الشعب الافريقى فى تكوين دول صغيرة فهم لا يرون مغزى لقيام دول مستقلة ضعيفة ، انهم وراء فكرة اجماعية . لاقيام دول صغيرة ، آنهم فى طريقهم من المرحلة القبلية ونظامها الاجتماعى الى مرحلة فدرالية ربما تضم يوما ما أفريقيــة السوداء بأسرها ، وفى المستقبل القريب توحد بين مساحات كبيرة فى غرب ووسط وشرق افريقية دون اعتبار للحدود الاستعمارية السابقة ..

وفى ١٧ من يناير ١٩٥٩ اجتمع أربعة من ممثلى ولايات أفريقية

الفرنسية المستقلة استقلالا ذاتيا ·· وهى السنغال · والسودان و « جمهورية فولتا » ·· ثم داهومى - وذلك فى داكار عاصمة السنغال تحت رياسة تبوبولد سيدار سنغر رئيس وزراء السنغال وكونوا جمهورية « مالى » الفدرالية ، لقد اختاروا اسما سابقا لدولة أفريقية ضمت معظم بلاد غرب أفريقية فيما بين القرن الحادى والسادس عشر ، وقد تضمنت ديباجة الدستور الجديد أن الهدف الاول هو تقوية الشخصية الافريقية ، وقد أقسم جميع الحاضرين فى مؤتمر داكار أن يخصصوا أنفسهم للفكرة الروحية ألا وهى « توحيد أفريقية »

وعقب ذلك بيومين أى فى ١٩ من يناير اجتمع ٣١٨ عضوا من أعضاء الاتحاد العام لعمال أفريقية السوداء فى «كوناكرى » عاصمة غينيا واختاروا سيكوتورى رئيسا وطالبوا باتحاد نقابات عمال افريقية السوداء وشمال افريقية ، وفى نفس الشهر على غير انتظار وعدت الحكومة البلجيكية باتخاذ اجراءات ديمقراطية بمنح الاستقلال فى المستقبل لشعب الكونغو البلجيكى ، أما نيجيريا بسكانها الذين يبلغون ٣١٫٥ مليون نسمة والكمرون والصومال فسوف تستقل فى عام ١٩٦٠ ، وكل هذا يثبت تطوراً ، كان قليل من الناس منذ خمس سنوات بل وفى سنة واحدة ، هم الذين يعتقدون فى امكان حدوثه

وفى نهاية شهر ديسمبر ١٩٥٨ أعلن سنجور فى مؤتمر فدرالى فى بامكو عاصمة السودان الفرنسى ما يأتى :

نحن على استعداد للبقاء فى داخل «المجتمع» طالما كان يفتح لنا الطريق لانشاء ولايات فدرالية فى أفريقية · ويمنحنا الاستقلال على أساس من التحالف مع فرنسا · وبهذا يجب تفسير الدستور بطريقة غير جامدة » · ·

ولكن هل تقبل الجمهورية الخامسة هذه الايجابية ؟ لقد تعلم زعماء

شمال أفريقية وجنوب الصحراء فى فرنسا وهم يتكلمون اللغـــة الفرنسية ، ولكنهم تعلموا من فرنسا ايضا أهمية الكرامة الانسانية والمساواة والشخصية الثقافية والسيادة القومية ، وهم يرغبـــون فى تحقيق هذه الاهداف على أساس من التحالف الفدرالى بين انفسهم مع التعاون مع فرنسا وهذا ينطبق على التحالف المغربى الذى سوف يضم تونس والجزائر ومراكش ، كما ينطبق أيضا على الاتحاد الفدرالى لافريقيا الغربية والاستوائية ، وفى الحلف القائم على المساواة بـــين هذه الاتحادات الفدرالية وفرنسا يكمن الامل المرتجى للتعاون فى العالم الحر كما يؤدى الى نمو الديمقراطية وانتعاشها فى فرنسا وفى افريقية على السواء .

تراث الجمهورية الثالثة

بقلم دونالد ث · ماكاى استاذ التاريخ بكلية امهرست الامريكية

والان ـ وقد تركز انتباهنا على هذا المسرح الفرنسى المتغير والذى مازال يتغير بسرعة ـ فأنه يمكننا النظر الى الجمهورية الثالثة على أنها الموصل لهذا التطور ـ بل فى الواقع الموصل للحقبة بأكملها منذ سقوط فرنسا ·

وفيما يختص بهذه الجمهورية فان للكاتب ترجيح صادق فهويراها وقد مزقتها حرب ١٩١٤ كما اهتزت قوة فرنسا ونقتها فى نفسها بعنف نتيجة هذه التجربة العنيفة ، وبذلك أصبحت المشاكل التى كانت كاملة أو محتملة قبل عام١٩١٤ ـ أميل للوضوح والاحتدام خلال سنوات ما بين الحربين

والبنيان الاجتماعى للجمهورية الثالثة يهيىء مجموعة أولية من العلامات المثمرة ، وفى نظر الزائر العابر تبدو باريس وكأنهـــــا فرنسا ، آلا ان فرنسا فى الواقع ارض زراعية ، وفى احصاء ١٨٤٦ كان ثلاثة أرباع السكان من الريفيين ، وحتى فى عام ١٩٣١ ثبت هذا الرقم عند ٥٠ ٪ تقريبا ، والفلاح المحدود المصـــالح يرتبط ارتباطا وثيقا بالارض وبالاساليب التقليدية لفلاحتها ، ولديه وعى ضرائبى يعارض بوجه عام الاصلاح «والتقدم» لنفسه وللآخرين وهو لم يتكيف مع المجتمع الصناعى كما فعل المزارع فى الولايات المتحدة ، أن الرجعية والجمود النسبى فى الحياة السياسية الفرنسية ترجع فى الاغلب الى سيكولوجية المزارع ، وفى الطرف الآخر المقابل للمزارع فى نظام الحكم السائد قبل عام ١٧٨٩ كانت هناك طبقة النبلاء الذين برغم ما عانوه من تجارب محطمة فى الثورة الكبرى

فى سنوات ١٨٣٠ ، ١٨٤٨حـاولوا اعادة الحياة لنظامهم بطريقـة مسرحية فى ١٨٧١ ، ولقد أخفقوا فى ايجاد ملك لفرنسا ، ولكن الصراع بين الملكية ، أعدائها ترك علامة مميزة قوية فى الاتفـاق الدستورى غير الموفق الذى أبرم فى عام ١٨٧٥ والتى امتد أثرها حتى سقوط الجمهورية الرابعة فى العام الماضى ، ولكن هذا كان منظرا ختاميا اذ أن النبلاء سرعان ما سويت مسألتهم بأزمتى بولانجى ودريفوس قبل انضوائهم نهائيا بين الصفحات البراقة لمؤرخات مارسل برديست وكتابات شارل موزا الجذابة غير الواقعية ..

هناك عامل فعال آخر فى المسرح الاجتماعى ألا وهو التاجر الصغير الذى يرجع تاريخه الى ما قبل عهد الصـناعة فى باريس ، والذى ازدهرت الثورة الصناعية من اجله ، لقد ظل عنصرا طفيليا جذابا ينمو على حساب الاقتصاد - وفى العصر الحديث كان عصب الحركة البوجادية ، نسبة الى (بوجاد) الذي كان أول من نادى بالعصيان المدنى بعدم دفع الضرائب فى فرنسا .

وكانت الثمرة الثانية للثورة الصناعية ، بطبيعة الحال ، مدرسة الكادحين التى نمت بسرعة خلال فترة حكم نابليون الثالث ، وبسرعة أكثر خلال فترة التصنيع الاوسع مدى فى أوائل القرن الحالى ، وفى غضون هذا الجزء من التاريخ كان العامل الفرنسى يعيش فى دنيا خيالية معزولة عن الواقع .

نطاقان اقتصاديان :

ويميل الفرنسيون الى اعتبار اقتصادهم اقتصـادا « موازنا » ، زراعة فى استكفاء ذاتى تقريبا ، وكيان صناعى غير معتمد بدرجة اكيدةعلى التجارةالخارجية ، وفى الواقعيمكننا القول بدقة اكثرـانه كان يوجد منذ زمن ما يصفه الملاحظ المدقق بأنه أقسام متناقضة :

فرنسا رقم ١ - الجوانب العصرية الحديثة التقدمية للاقتصاد (الصلب والسيارات والطرق الحديدية - الزراعة الآلية على نطاق واسع وهكذا -)

وفرنسا رقم ٢ - النظام الاقتصادى الموغل فى قدمه الذى يمثل ركائز ممتدة فى نظام الحكم القديم (الجناح البوجادى للتجارة بالتجزئة - **الملكيات الزراعية المفتتة - مع الميل المتزايد للعمل** اليدوى فى عديد المشروعات مثل رصف الشوارع وهكذا .

التغير والثورة :

ان تحليل البنيان الاجتماعى والاقتصادى يقودنا بطبيعة الحال الى الميدان المتداخل الوثيق للمنظمات السياسية . وهنا يحسن ايجاد مقارنة مفيدة بالنسبة لانجلترا حيث يلاحظ ان الثورة السياسية سبقت الثورة الصناعية بقرن من الزمان على حين كانت فرنسا مضطرة لمواجهة مشاكل الاثنتين أبان السنوات من ١٧٨٩ الى ١٩١٤ ، والنتيجة التى نخرج بها هى أن انجلترا بمنظماتها الاكثر استقرارا ذات التقاليد كان يمكنها احداث تغييرات عميقة فى ترتيباتها السياسية خلال القرن التاسع عشر بالاجراءات التشريعية وبدون عنف . أما فرنسا فى الجانب الآخر فقد وجدت نفسها عاجزة تقريبا عن حل مشكلة الاصلاح الدستورى بالمناقشات والاجراءات التشريعيه وبالتالى فقد حدثت تغيرات أساسية فى صورة تحول ثورى ، حتى الاصلاحات الدستورية التى قام بها ديجول قد أصبحت ممكنة بفعل الموقف الثورى فى الجزائر والذى أمكن تفادى مظهر العنف فيه بطريقة معجزة وذلك بهيبة الجنرال نفسه . والثورة الاخيرة التى **قامت ضده كانت الى حد ما ثورة «ناقصة» وهناك كثيرون يخشون** أو يأملون أن هذه الثورة يمكن اكمالها .

وفرنسا (وهى تواجه فى فترات متعددة من تاريخها فى القرنين الماضيين تنظيمات سياسية عاجزة ونقصا فى سعة الوفاقات التى

سمحت فى انجلترا باحداث تغيير سلمى) قد وجدت نفسها مضطرة (اذا أتحنا لأنفسنا قدرا من المغالاة) لان تجعل من الثورة عنصرا متناقضا فى دساتيرها المتعاقبة - تستهدف معالجة النقائص التى تركها آلاسلاف على التعاقب ولسوء طالع الجمهورية الثالثة كانت ثورة ١٨٧٠ - ١٨٧١ مثل سابقاتها ثورة مبهمة غامضة ، وعندما وردت أنباء كارثة نابليون الثالث عند سيدان الى باريس أعلن الاعضاء الجمهوريون فى البرلمان (الجمهورية) ، ولكن عندما حاول نفس هؤلاء الاعضاء الجمهوريون الحرب بوطنية الى الرمق الاخير ضد الغزاة ، فان غالبية زملائهم الذين أنهكتهم الحرب انتخبوا جمعية وطنية ذات اتجاه سلمى ، جمعية تحولت الى داعية للنظام الملكى لدرجة أنها قررت البقاء فى السلطة وأن تقدم لفرنسا ملكا وأن « اللقاء » النظرى للمرشح البربونى الكونت شامبورد قد أفسد عليهم خطتهم ومن ثم فان العناصر الجمهورية البرجوازية الرجعية لفرع أوليان صممت أخيرا خطوط اتفاقات دستور ١٨٧٥ وهو يعتبر بالنسبة للبعض مجرد غرفة انتظار حتى وفاة شامبرد تجعل من المرشح الايرلياني مرشحا شرعيا ٠

ان مخاوف وآمال أولئك المؤسسين قد امتزجت لتجعل من النظام الجديد هيئة تنفيذية واهنة وقوة اسمية برلمانية ، ولسوء الطالع فى التركيب التقليدى القائم على تعدد الاحزاب اكتشف البرلمان آنه يمكنه ممارسة سلطاته كما يشاء بطريقة سلبية تقوم على الاطاحة بالوزارات المتعاقبة (وبذلك يمنع تزايد السلطة فى أيدى أي فرد - وهى فكرة متخلفة من عهدالامبراطورية الثانية) وبالاضافة الى ذلك فعقب خيبة مكماهون فى عام ١٨٧٧ تمتع المجلس بحصانة تكاد تكون كاملة من خطر الحل - وعلى ذلك زادت سلطته بانفصاله عن التاثير الشعبى لفترات طويلة من الزمن ٠ أمامن الناحية الايجابية التى تقتضى تهيئة نفوذ متجاوب طويل الامد على التشريع بواسطة

جهاز وزارى مدعم ببرنامج مصاغ تؤيده أغلبية يعتد بها فان هــذا النظام أثبت عجزه عجزا شنيعا ، وقد ســـار التشريع ببطء يشق طريقه بصعوبة وسط دوامة المساومات غير متجاوب بكفــــاية مع الاحتيـــــاج القومى والارادة الشعبية - التى لم تقس بواســـطة الانتخابات التى كانت تقوم مع المسائل الداخلية ٠

مزيد من الاستقرار :

ان نظام الحكم فى عام ١٨٧٥ الذى اعيد تنفيذه فى مدى وآسع فى عام ١٩٤٦ كدستور للجمهورية الرابعة هوجم هجوما واســـعا بدعوى « عدم الاستقرآر » الذى ادى ذلك النظام اليه ، حقــا ان الحكومات كانت قصيرة الاجل - الا ان النقاد اخذوا يتبينون بوضوح أكثر كنتيجة للاحداث الاخيرة - مظاهر ضعف أوضح فى الاستقرار المتزايد والرجعية ٠ والنواب أنفسهم قد اكتسبوا بسرعة ذلك التسلط السياسى المعهود الذى جعلهم ينفرون بشدة من احـــداث تغييرات دستورية فأى اجراء فعال لحل البرلمان على سبيل المثال قد يهدد بقاءهم فى مناصبهم ، وقبيل عام ١٩١٤ كانت الرغبة فى احدآث تغييرات دستورية صغيرة جدا لدى النواب ، وآخر محاولة يائسة للاحتجاج من حكومة عام ١٩٥٨ كانت الى حد ما انعكاسا لاستمرار عاطفة المصالح الذاتية ، وهذا الاستقرار الكبير تدعم كذلك بالاستمرار فى ١٨٧٥ باتباع النظام آ لادارى لنابليون الاول : وهو نظام مركزى للرقابة الفعالة على الامة بأسرها بواسطة دكتاتور ، وقد بدأ هـــذا النظـــام معبرا متناقضا لجمهورية جديدة ، والاكـــثر من هـــذا أن الطابع الديمقراطى الاساسى للنظام الجمهورى الاخير قد كشفت عنه الاحداث الاخيرة والديمقرطية السطحية فى صورة الاهتمام المحـــلى والرقابة المحلية لا يمكن أن توجد فى مجال هام ٠ والادارة المركزية ذاتها كان يديرها رجال على درجة عالية من الكفاية غير انهم مطبوعون

بالآراء الرجعية ولهذين السببين ظلوا فى موقف دائم لتوكيد نفوذهم فى ثنايا ضعف الوزارات السريعة الزوال ، والتى يكونهـــا هواة السياسة .

وفيما يختص بالنظام السياسى كسائر النظم الاخرى كانت حرب ١٩١٤ فيصلا فقبل الحرب سار النظام بكفاية ملحوظة - بين مشاكل اقل خطورة وفى ايدى قيادة فريدة - وللانسان ان يذكر الاسماء : غيتا - فرى - جاك روسو - كليمنصو - بريان - بارثو - بوانكاريه آلا انه فى سنوات ما بين الحرب اثبتت التنظيمـــات السياسيه الفرنسية عدم كفايتها عندما ووجهت على غير انتظار بوقع الكساد الكبير والتحدى المخيف من جانب الثورة الهتـــلرية ، وقد أخففت فرنسا فى مواجهة أى من الخطرين وفى النهاية تنازلت الوزارة المنقسمة عن استقلالها فى ميدان الشئون الخارجية فى ميونخ . ان الرغبة الملحـة من جانب الاعداد العظيمة للشعب الفرنسى لاحداث تغيير أســاسى جارف فى المنظمات السياسية عقب الحرب العالمية الثانية لدليل بارز على الشعور العام تجاه ذلك الضعف .

الشئون الخارجية :

ان السياسة الخارجية للجمهورية الثالثة لم تقدم للاسف الكثير من الدروس المستمرة المباشرة لقادة اليوم الذين يعملون فى عالم مغاير تماما ، ان قصة الدورة المبـــكرة من عام ١٨٧١ الى ١٩١٤ تتضمن الهروب الحاذق من قيود العزلة التى كان يفرضها بسمارك والخطوات المتعاقبة لاعادة بعث فرنسا كدولة عظـــمى وشخصية مرموقة فى نظام الاحلاف المضادة ، وفرنسا وهى تنظر الى ذلــــك بمنظار ارضاء كبريائها المجروح او بمنظار استعراض المهارة الفنية العالية لرجالها الدبلوماسيين فانها تعتبر ذلك مكسبا من الطـراز الاول - واذا نظرنا الى أن تحقيق هذا الهدف كان أحد العوامل التى

جعلت من الحرب العامة امرا ممكنا واستتبعت النتائج المدمرة لذلك الصراع على فرنسا ذاتها ـ فان هذا النجاح له مشاكله العميقة التى تدعو الى التفكير ..

والدورة الثانيه للسياسة الخارجية للجمهورية الثالثة اى سنوات ما بين الحرب مليئة بالدروس التى توحى بما لا يجب عمله وبالآلام التى تمخضت عن العيش فى خيالات بينما العالم الواقعى ملىء بالمخاطر الحقيقية ..

وفى السنوات التى أعقبت الحرب العالمية الاولى خرجت فرنسا مرة اخرى الى مركز منعزل فى المسرح الدولى الذى يعيد الى الذاكرة بطريقة ما عزلتها عقب ١٨٧١ الا أن هناك فارقا جوهريا ففى الحالة الاولى كانت عزلتها مفروضة من العدو بسمرك ، أما فى أعقاب ١٩١٨فقد كانت عزلتها بفعل حلفائها لان معاهدات الامن المتبادل بين الولايات المتحدة وبين بريطانيا وفرنسا قامت على اشلاء الجدل السياسى حول معاهدة فرساى ـ وعصبة الامم ـ فى الولايات المتحدة اما البريطانيون وقد اغرقوا مخاوفهم الاولى باغراق الاسطول الالمانى أخذوا ينحولون تدريجيا عن تأييدهم للفرنسيين واتجهوا نحو مبدأ توازن القوى التقليدى بالنظر الى مسئولياتهم فى القارة الاوروبية ، وفى الوقت نفسه خلقت الثورة البلشفية عدوا جديدا للحكومة الفرنسية الموغلة فى الرجعية كما ان الانقلاب الفاشى فى ايطاليا قد أثار مخاوف الغزو من جانب حليفتها الاولى فى البحر الابيض المتوسط . وقد كانت النتيجة سعى فرنسا للخروج من عزلتها بانشاء تحالف مع دول من الدرجة الثانية التى خلفتها الحرب . على غرار النظام الذى اتبعه بسمرك فى عالم مخالف لعالمه .. وهنا يمكن التناقض فى حقيقة ان هذه المحالفات التى لايقبلها العقل تصلح طالما كانت المانيا ضعيفة (لم تكن هناك حاجة اليها) ولكنها كانت غير صالحة بالمرة فى مهاجمة دولة المانية معادية تبعث من

جديد .. مالم تنل تعضيد بريطانيا وروسيا المتعاونتين . والتعاون الذى نالته فرنسا من انجلترا كان فى الغالب نصائحرخوة بالتسليم وفى نفس الوقت وقد وآجهت فرنسا خطرا مزدوجا من جانب هتلر ومن جانب القوة النامية لروسيا الشيوعية لم تختر الانضمام الى اى من المعسكرين ولكنها فضلت تسليح نفسها تسليحا ناقصا (وهـو حظ ماجينو الذى لم يستكمل) ثم شعور وطنى اتجه الى المسالمة - وانكارا لسياسته التى كانت تفسر على آنها سياسة تهدئة فكانت النتيجة الكارثة المعروفة ..

شئون المستعمرات :

بقيت كلمة حول مسألة المستعمرات فى ظل الجمهورية الثالثة سيما وان الجزائر تعتبر اضخم المشكلات التى يواجهها ديجول وعلى نهج البريطانيين الذين سبقوهم استحوذ الفرنسيون على امبراطوريتهم الثانية عبر البحار فى غمار من الغفلة ، وقد كان من غير المعقول ان الفرنسيين المهزومين فى حرب قارية مع المانيا والذين يعانون من رهن العزلة الدبلوماسية أن يخوضوا غمار مخاطرة عبر البحار ادت بسرعة الى خلق امبراطورية تلى فى حجمها الامبراطورية البريطانية لقد كان ذلك نجاحا بارزا يعزى بالتأكيد الى مواهب ذات مستوى عال ولكنها كانت من صنع جماعة صغيرة من ذوى العقائد المتحمسين - جنود - ومبشرين ودبلوماسيين وصحفيين ومغامرين - وقد تم هذا بالرغم من المعارضة الشديدة من جانب رجال آمثال كليمنصو الذى كان يؤمن بأن على فرنسا أن تركز قوتها ضد عدوها التقليدى وفى وقت كانت فيه الوطنية منبلدة ..

ومن ثم فى تعاقب السنين حدث تفتت على وجه العموم فى العالم الاستعمارى . وقدقدمت فرنسا مع الدول الغربية الاخرى حافزا مزدوجا ينمى مشاعر الحركات الاستقلالية فى المستعمرات،فالافكار

التى نادى بها الغرب حول الحرية الانسانية وكرامة الفرد حركت الشعور الوطنى فى الشعوب المستعمرة كما سبق ان حركت شعور الشعوب الاوروبية فيما مضى ، كما ان مجرد وجود الاوروبيين (وخاصة أولئك الباحثون عن الكسب الشخصى فى وقت زالت فيه القيم المتنافسة) اثار فيما بعد حفيظةالوطنيين ورغبتهمفى الاستقلال ومن ثم فقد صمم الوطنيون برامجهم الثورية الخاصة الموجهة ضد تلك المجتمعات بعينها التى عرفت الثورة فى زمن مبكر ولكنها الان قد استقرت فى النماذج النفسية التقليدية التى جعلت من العسير عليهم الادراك والمشاركة فى هضم الدروس التى سبق ان قاموا بتعليمها ..

والطابع الانفجارى الذى ميز المراحل الاخيرة لثورة المستعمرات فى وقتنا هذا كما هى الحال فى الجزائر وفى اجزاء كثيرة منافريقيه جنوب الصحراء الكبرىلدليل مرير علىالتناقض بين طبيعةالاستعمار وبين المذهب التحررى . وأحد المخاطر التى تعانيها فرنسا فى وقتنا الحاضر يكمن فى ان آزمة الجزئر قد تظهر تناقضا مزعجا جديدا ينشأ بين الوطنية والاستعمار بنجاح الافكار اليمينية ، وبقايا مبراطوريتها عبر البحار التى لاقت القليل من اهتمام غالبية الفرنسيين قد اصبحت اليوم رمزا عاطفيا لقوة سابقة فى المحيط الدولى ينعى الفرنسيون افتقادها ..

وهذا الوصف القصير للامبراطورية الثالثة يوضح لنا مرة اخرى الى أى مدى ترجع جذور المشكلات الحالية الى أغوار الماضى البعيد . وانه من واجب المؤرخ ـ ذلك الواجب الذى يتكرر دائما ـ ان يصور الماضى فى عبارات تتصل بالحاضر الدائم التغيير . ومهمة المؤرخ السياسى على السواء أصبحت أكثر تعقيدا فى عالم يكتنفه التغيير الثورى المتكرر . والفرنسيون بوجه خاص يشغلون من مخيلة الانسان الذى فى منتصف العمر ثلاثة عوالم مختلفة :

١ ـ **العهد الجميل** : قبل عام ١٩١٤ عندما كانت مشاكل الغرب نختفى وراء قنـــاع من « التقدم » وعندما كان هنـــاك اعتقـــاد ساذج بأن القرن التاسع عشر يستمر فى البقاء ٠

٢ ـ **سنوات ما بين الحربين** : عندما كانت خيبة الامل من جراء الحرب الماضية قد تقوت بخيبة الامل من جراء الحرب المقبلة وعندما ظهر أن المشكلات على درجة كبيرة من الاتساع وعدم قابليتها للحل لدرجة ان الفرنسيين كغيرهم تحولوا من الحقيقة الى الخيــال ومن الثبات الى التسليم ٠٠

٣ ـ واخيرا ، سنوات مابعد التحرر الذى خضعت فيه أوروبا للنظام الجديد واضطرت فرنسا لان تصغى خلاله الى الحديثآلبشع بين الشرق والغرب ٠٠ فان كانت فرنسا قد تمكنت من ان تواجه هذه الهزات النفسية وتتحدى هذا العصر الجديد بما حققته قيادتها فى بناء اوروبا الجديدة والصعود البارز خلال السنوات الاخـــيرة لاقتصادها الذى كان موضع النقد ، كل هـــذه ظواهر تؤيد حيوية وتكييف هذا الشعب العجيب ٠٠

سقوط الجمهورية الرابعة

بقلم ادورد فوكس

أستاذ التاريخ المساعد بجامعة كورنل

اذا اتيح للجمهورية الخامسة طول البقاء سجلت ببقائها تاريخا رسميا فان الجمهورية الغربية الرابعة تعتبر ولا شك ـ فى هذا المقام ـ كفترة من التيه المقصود فى بيداء الخلل البرلمانى على حين يجلس حكام فرنسا فى قصر كولومبى ذى الكنيستين كما جلس موسى ينتظر فى قلق عودة شعبه المختار من صحراء التيه الى الارض الموعودة والان وذكريات الاثنى عشر عاما الماضية ما زالت ماثلة فى الاذهان ومتزاحمة والجمهورية الخامسة لم تسدل بعد الستار الذى يحجب الماضى عنا فان الفرصة سانحة لاعادة تقدير سجل تلك الحقبة واعادة النظر فى الجمهورية الرابعة لا كمجرد نظام حكم تهاوى نهائيا بل كذلك تطور فى أطوار الحياة فى فرنسا ، ذلك التطور الذى يعد فى اسعد الاطوار وآخصبها فى اذهان الفرنسيين المعاصرين وليس هذا بقصد اغفال النتيجة النهائية لهذه القصة بل لتقييم مسبباتها وقياس الى أى مدى كانت ضربات الخلل المميتة اقتصادية ودستورية أو سياسية ومعنوية ، وانا لنتساءل ما اذا كانت الكارثة قد اعقبت اخفاق الفرنسيين فى اختيار دستورهم الصحيح عام ١٩٤٦ كما يعتقد الجنرال ديجول او كما أوضح بيير منديس فرانس فى خطابه الشهير «الحكم هو الاختيار» او آنها (اى الكارثة) قد وقعت نتيجة الاخفاق فى الاختيار •

وفى غداة التحرر واجه الفرنسيون مجموعة من آلاختبارات التى كان يمكن أن تبلبل الافكار ما لم تشبع آمالهم البراقة التى ولدت فى ظلال الاحتلال ومعركة المقاومة ، ولم يكن مجال

الاختيـــار قاصرا عـلى شـــكل الجمهـــورية الجـديدة بل كان يشمل كذلك شكل المجتمع الجديد ذاته وكان أمامهم فرصة تحـويل فرنسا آلى دولة صناعية حديثة ، وتكوين علاقتها مع المجتمع الاوروبى الجديد ناهيك بعلاقاتها مع ممتلكاتها عبر البحار ، ولما كان كل اختيار يتضمن عرضا للاستثمارات العامة فان هـــذا يستتبع تقدير سبل تغطية تكاليف هذه الدولة الجديدة ، وكل اجابة سواء أكانت حسنة أم سيئة تسهم فى تكوين نظام الحكم الجديد وأهـــدافه أو سقوطه الكلى ..

ان أول قرار وربما كان أكثرها ضررا قد اتخذه مسيو بيير منديس فرانس فور التحرير عندما كان وزيرا للشئون الاقتصادية فى الحكومة المؤقتة وخسر معركته فى سياسة التقشف وايجاد نقد ثابت وميزانية متوازية ..

وربما كانت هذه السياسة غير محتملة بالنسبة لوجـــود مجالات أخرى للاختيار ، الا أن التضخم النقدى المزمن المتعاقب قـــدر له أن يكون نقطة الضعف القاتلة للنظام الجديد ..

ان فرنسا الجديدة كما تخيلها الفرنسيون فى ميثولوجية حـــركة المقاومة تقوم على توفير الحرية الشخصية الصحيحة فى اخاء اجتماعى كامل ، فما من نظام جديد كان يمكنه أن يغفل هذا الالتزام المعنوى وقد سارت الحكومة الاقليمية بسرعة نحو خلق برنامج اجتماعى كامل وتوسيع مدى حركة التأميم التى بدأت مسرعة بخطى سريعة أيضا فالى جانب المؤسسات العامة للمواصلات (السكك الحديدية والخطوط البحرية والجوية والبريد كذلك البرق والمسرة) أضيفت مؤسسات المنافع العامة (الغاز والكهرباء) ومناجم الفحم ومعظم البنوك الكبرى وشركات التأمين والبيوت الصناعية الخاصة ببعض المحكوم عليهم من المتعاونين مع الاعداء مثل مؤسسة رينو بوجه خاص . فاذا كانت

هذه الاختبارات لا بد منها سياسيا ومعنويا وهى مربحة فى نهـــاية المطاف فما لا شك فيه انها لفترة ما أضافت عبئا ثقيلا على بناء الدولة الاقتصادى المهتز ٠

ولكى يدعم هذا البناء مع توفير أقل الاحتياجات العامة التى تتطلبها الحياة المتمدينة للفرنسيين كان من المتحتم أن يستتبع ذلك شيئا أكثر من اعادة بناء البيوت المهدمة والمصانع وتسهيل وسائل المواصلات ٠

ان النظام الاقتصادى لفرنسا فيما قبل الحرب لم يكن ملائما وقد قام جماعة من الخبراء بوضع خطة تنظيم وتوسيع الانتاج الصناعى ، وقد وضع قرار تطوير فرنسا فى البداية من ناحية المبدأ فقط ، ولكنه كان ضمنيا فى جميع الاختبارات الاخرى كما كان يلقى بأعبائه عـلى مصادر الدولة المالية ، وكما كان يتضمن الزاما للاسهام بدرجة كبيرة فى المجتمع الاوروبى الناشىء ٠

هذه اذن هى الاختبارات الهامة التى اتخذت عندما اجتمعت الجمعية التأسيسية الاولى فى عام ١٩٤٦ لاختيار شكل الحكومة التى كان على الفرنسيين أن يعيشوا فى كنفها ٠٠

وفى التجارب الدستورية الفرنسية كان المقابل الوحيد للنظـــام البرلمانى ذى المجلسين النيابيين والوزارة المســـئولة التى تميزت به الجمهورية الثالثة المكروهة الان ، هو الجمعية الوطنية للجمهورية ، الثورة الاولى ذات السلطات الواسعة والهيئة التنفيذية غير المسئولة للحكومة البونابرتية الادارية ، وما من شك فى أن الاتجاه الشعبى كان يميل الى جمعيـــة ثورية ، وفى الحقيقـــة تضمن أول تخطيط للدستور حكومة مماثلة وعندما جاء الوقت لتقديم هـــذا الاقتراح للشعب فى الاستفتاء اتضح للجميع عدا الاشتراكيين ان الشيوعيين ينظرون الى الدستور كأداة لقلب نظام الحكم ، ونتيجة لهذا لم يوافق عليه فى الاستفتاء وانتخبت جمعية جـــديدة ووضع تصميم دستور

جديد يوفق بين الآراء ، ومما أغضب الجنرال ديجول أن هذه الجمعية الثانية أغفلت نصيحته وتحذيراته برفضها النظام الرياسى الذى كان يطلبه ، والذى كان فى الحقيقة يقوم على حكم ادارى تخفف من وطأته المراجعة البرلمانية .

وقد رسم النظام الذى لابد منه للتوفيق بين الآراء وقدم للناخبين فى صورة استفتاء ثان ، ولما كان يتضمن تشابها عجيبا لدستور الجمهورية الثالثة غير المأسوف عليه ، فلم ينل رضاء أحد ولكنه قبل على أنه أخير الموجود وذلك فى انتخاب تسوده الكآبة ، وفى ذلك الوقت انسحب الجنرال ديجول من المسرح السياسى فى غضب مكتوم ليعود بعد فترة قصيرة ليعلن الجمهورية الجديدة بالنهاية العاجلة المشتتة ..

ومن الوجهة المنطقية البحتة فان صحة نبوءة الجنرال لا تنهض دليلا على صحة التحليل الذى قامت عليه ولكن طبقا للتقاليد السياسية قد يصح هذا وبذلك ينسب المتاعب الفرنسية خلال السنوات الماضية الى صف الدستور وهى نظرية ان كانت خاطئة فانها أذن خطيرة .

والآن فان حكومة الجمهورية الرابعة بجمعيتها الوطنية المنتخبة انتخابا مباشرا ، ومجلس جمهوريتها المنتخب بطريقة غير مباشرة فى انتخاب عام ، وبهيأتها التنفيذية المسئولة أمام الجمعية ، وبرئيس الدولة الذى ينتخبه المجلسان ، هذه الحكومة عكست وجهة نظر الناخبين بدقة تامة وواجهت المشكلات الوطنية وانتخبت وزراء من ذوى الكفايات .

والوثيقة الدستورية التى أنشأت الجمهورية الرابعة كونت فى الوقت نفسه من المستعمرات والممتلكات عبر البحار والمحميات ، كونت من هذا كله الاتحاد الفرنسى ، وكالجمهورية نفسها فان هذا الاتحاد أصبح أقل ثورية مما كان مقدرا له من قبل ، فبدلا من أن يكون

ارتباطا حرا ذاتيا أصبح مجـــرد ارتباط وبدلا من أن يكون لسكانه حقوق متساوية كمواطنين فرنسيين شجعوا على أن ينظروا فقط الى المميزات التى يحصلون عليها من صلتهم الراهنه ، ودستور الوحدة يمكن اعتباره رغم هذا تقدميا وكريما ، ولكن هذا لم يلطف النتائج التى كان يمكن الوصول اليها اذا لم يترك الناس أحرارا فى ارتباطهم بالاتحاد بمحض ارادتهم حتى كان يمكن تفادى الحـــروب التى لا نهاية لها والتى كانت سببا فى سقوط الجمهورية الرابعة ..

وفى ربيع عام ١٩٤٧ كانت مرجحات الجمهورية الجديدة غير مسجعة اذ كان الانتاج الصناعى والزراعى الفرنسى لا يمكن توفير مقـومات المعيشة وتسببت الواردات التى لابد منها فى زيادة الدين الاهلى الى حد لا يمكن احتماله فى الوقت الذى ظهرت فيه فى الافق ســـحابة الحرب فى الهند الصينية .

وفى هذا الوقت وبصورة لا مثيل لها فى عالم السياسة أعلن وزير خارجية أمريكا برنامج المعونة الذى يحمل اسمه ، **ان مشروع مارشال أنقذ أوروبا ولكن دون أن يوقف تيار مجموعة من الحوادث التى كان لهـــا بأن تكتسح العـــالم الحر خـلال الاثنى عشر عاما التالية ..** والجمهورية الفرنسية (وقد نجحت بهذه المساعدة الجارفة) انتقلت من الازمة الى تحقيق المطالب ، ثم الى الازمةمرة أخرى دون اتاحةالوقت لتقدير المتاعب التى اكتنفت طريقها ..

وقد بعث مشروع مارشال الحياة فى المجتمع الاقتصادى الاوروبى وتولت فرنسا القيادة فى التجاوب وفى آنشاء مؤسسات جـــديدة للتعاون وخاصة اتفاق الفحم والصلب ، ولم يفت أوروبا أن تلاحظ ان ثلاثة من أكبر منظمى أوروبا كانوا كاثوليك محافظين ، وهم شومان (فرنسا) واديناور (ألمانيـــا) ودى جاســـيرى (ايطاليا) وحاول اليسار الجمهورى جذب بريطانيا الى الاندماج فى هذا المجتمع الناشىء ولكنه لم يبحث احتمال وقوف فرنسا لخارج هذا المجتمع ..

وقد أجاب الاتحـــاد السوفييتى على هـــذا بقلب نظام الحكم فى تشيكوسلوفاكيا ثم حصار برلين واعادة تسليح الاحزاب الشيوعية كمراكز تدار منها الاعمال الانقلابية ، وتحولت المعونة الامريكية من اعادة البناء الاقتصادى الى التسلح وأصبح اعادة تسليح ألمانيا الهدف الرئيسى لسياسة فرنسا فى أوروبا ٠٠ وقد استعد الفرنسيون فى بادىء الامر للموافقة على احياء الجيش الالمانى ولكن اضطراب الاحداث دفعهم الى التقدم باقتراح انشاء جيش أوروبى ينص عليه فى معاهدة منظمة الدفاع الاوروبى المتبادل ٠

وعندما خفف السوفييت حصارهم لبرلين عام ١٩٤٩ ، أصبح جسر برلين الجوى فجأة عاملا للنجاح ، وفى ربيع ١٩٥٠ تفتحت احتمالات النجاح أمام فرنسا وأوروبا ، وقد فاق الانتاج الزراعى والصناعى الفرنسى مستويات ما قبل الحرب فى عام ١٩٣٩ ، ورغم كونه لا يكافئ واحتياجات الدولة الا أنه كان فى صعود مستمر ٠٠ وأعقب ذلك فى نهاية يونيه أن غزت القوات الشيوعية جنوب كوريا وصدرت الاوامـر لقوات الاحتلال الامريكية بالحرب ٠٠

وقد أدى هذا الاجراء الامريكى ولا شك الى تدعيم الارادة الفرنسيه للمقاومة وظهر جليا أداء أمـــريكا لالتزاماتها كاملة فى الصراع بين الشرق والغرب ، ووجد الفرنسيون أنفسهم فجأة يحاربون حـــربا ذات مغزى فى الهند الصينية وهم بهذا يعملون على رفع أسهم العالم الحر فى تلك المنطقة كمـــا يفعل الامريكان فى كوريا ، ولكن اعادة تسليح أمريكا أدى الى ارتفاع كبير فى الاسعار العالميـــة ، وكانت النتيجة الحتمية لذلك فى فرنسا تزايد جديد للتضخم النقدى الخطر الذى كان قائما من قبل ، هكذا كانت الامور تجرى عندما أوشكت الجمعية العمومية على انتهاء دورتها وواجهت فرنســـا انتخابات عام ١٩٥١

وبالرغم من الحملة الضخمة التى شنها ديجول وأتباعه من الشعب

ألفرنسى للاستيلاء على الجمهورية بواسطة الانتخابات فان التهـــديد الشيوعى كان النتيجة الوحيدة الملموسة ‥ وقد صوت الكثيرون ضد الشيوعيين باعطاء أصواتهم لاحزابهم التقليدية ، ولكن ملايين رأوا فى ديجول رمزا للمقاومة العنيفة ، ونتيجة لهذا ظهـــر الحزب الجمهورى كأضـــخم كتلة فى البرلمان الجـــديد . وصوت الى جانب الشيوعيين كمعارضة آلية ضد الحكومة فى محاولة لاسقاط الجمهورية مما أدى الى فزع أتباعه ، ولكن هذا التكتيك فشل وانجلت كتلة الجمهورية ، أما باقى الاحزاب الاخرى فقد دفعها الضغط الشيوعى وآســـتمرت تواجه موجة جديدة من المشاكل ‥

وقد تسببت الازمة الوزارية آلتى حدثت فى يونية ١٩٥٣ فى الاتيان ببيير فرانس الذى اكتسب شهرة كخبير مالى فى الجمعيـــة كأقوى شخصية يشغل منصب رئيس الوزراء ، وقد اقترح عنـــد تخطيط برنامجه لعلاج آلتضخم المزمن موازنة الميزانيـــة عن طريق اجـــراء تخفيضات ضخمة فى المخصصات الحربية . وعماد هذه السياسة هو وقف الحرب فى الهند الصينية . ورغم ان طلبه قوبل بالرفض الا أنه ظهر كأقوى شخصية سياسية فى فرنسا نتيجة لهذه المحاولة .

وبعد مرور عام عندما كان الجيش الفرنسى يئن تحت وقع معركة « ديان بيان فو » قفز منديس فرانس آلى الحكم بتفويض شامل لاقرار السلام ، وهذا ما فعله بهمة ونفاذ صبر لم نعهده من قبل فى سياسى فرنسى منذ أشعل كلمنصو الحرب ، وقبل أن يشرع منديس فرانس فى اداء مهمته التى تولاها على نفسه وهى اعادة ميزانيـــة الجمهورية بتصفية التزآماتها الواسعة ، كان عليه أن يقرر مصير معاهدة الدفاع الاوروبى التى كانت لا تزال معلقة ، ولما كان ضباع أوروبا الصغيرة وهم السادة بيلو وشومان واتباعهما انصار الحركة الشعبية الجمهورية يعتبرون تلك المعاهدة ذروة نجاحهم ، فان المعاهدة رغم هـــذا بدأت تفقد مؤيديها بالتدريج ، ولم يعد الدفاع الاوروبى امرا ملحا فى الجو

الملطف الذى أعقب السياسة الاستالينية • كما ان الاحتمال الواضح لوضع القوات الفرنسية تحت زعامة أحد القادة الالمان القدامى كان مدعاة للفزع • ومنديس فرانس نفسه الذى لم يكن يوما من انصار أوروبا الصغيرة والذى كان مقتنعا باستحالة انقـــاذ المعاهدة رفض المخاطرة بحكومته باقرارها ونبذها لتلافى الفشل الذريع •

وفى صيف ١٩٥٥ اندلعت اضطرابات خطيرةفى الادارات الفرنسية فى الجزائر ، وفى البداية حجبتها أحداث تونس ومراكش ، ولـكن الجيش العائد من الهند الصينية حول بالتدريج الى الجزائر ، ولما مضت أيام الخريف الكئيبة اضطرت فرنسا لان تدرك حقيقة أنهـا تحارب حربا رئيسية أخرى ، وفى نفس الوقت ظهر جليا أن منديس فرانس وقد أحكم قبضته على الحزب الراديكالى الاشتراكى القـديم انما يخوض حملة كبيرة استعدادا للانتخابات البرلمانية المزمع اجراءها فى يونيه التالى ، ولما كان منديس فرانس يأمل فى نجاح انتخابى مرموق أدرك أنه من الضرورى تعديل قانون الانتخاب القائم والعودة الى نظام العضو الواحد لكل دائرة انتخابية ، وهو النظام الذى كان معمولا به فى الجمهورية الثالثة ، وقد تلقف خصومه هذا الموضـوع كأقوى سلاح يستخدم ضد نجاحه الغير ملموس فى البلاد ، والاصلاح الانتخابى المقترح عند ماعرض للتصويت عليه فى نوفمبر بدأ يشق طريقه حتى عرض ادجار فور حياة وزارته للخطر ، ومما يدعـــو للسخرية أن الموقف كان بالغ التعقيد لدرجة أن المعارضة هزمت الوزير بأغلبية ساحقة واضطرته الى الالتجاء الى اجراء دســتورى لم يكن مستخدما من قبل ثم حل الجمعية • وبذلك تمكن ادجار فورمن التغلب على الخطأ السخيف من جانب معارضيه لضربته القادمة وانهى حمـلة منديس فرانس الانتخابية واجبره على خوضها داخل اطار القـــانون الانتخابى القديم •

وقد لخصت مجلة (الطائر المحبوس) الموقف على أن ادجار فور دعا

الى انتخابات رجعية أما نواب حزبه فقد سجلوا وجهة نظرهم فى هذه العملية بجلوسهم طوال الليل لاجباره على تحديد تاريخ مرسوم الحل فى ٢ ديسمبر وهو ذكرى الحركة التى قام بها لويس نابليون لقلب نظام الحكم .

وخلال الشهر الباقى على الانتخابات كون منديس فرانس تحالفا مع الاشتراكيين والديجوليين المنشقين تحت اسم «الجبهة الديمقراطية» وقام بحملة انتخابية كبيرة حث فيها بنى وطنه الفرنسيين للانضمام اليه لا لاعادة النظام الى مالية فرنسا ، بل باعادة بناء اقتصاد الدولة بأجمعه بالتضحية ، والعمل الشاق ، على أنه من المستحيل القول أن برنامجا كهذا كان ينجح ، وما من شك فى أن الملايين من الناخبين اعتقدوا فى نجاح خطة منديس فرانس ، وليس أولئك بمؤيديه الحميمين بل عدد أكبر من ألد خصومه الذين اعتقدوا أن مجرد نجاحه يعنى تحطيم حياتهم ، ان نصف سكان فرنسا لايزال يعيش باقتصاديات القرن التاسع عشر الذى تغيره الثورة الصناعية التى لازالت غير كاملة ، وكثيرون يسرهم هذا الطراز من العيش وأغلبهم على استعداد للدفاع عنه بشدة ضد أى تغيير .. **انهم وسياسيوهم هم الذين لعبوا آخر ورقة فى سقوط الجمهورية الرابعة .**

واذا لم يكن قد دعى الى عقد الانتخابات فى وقت مبكر واذا كان القانون الانتخابى قد عدل فربما جاءت النتيجة مخالفة ، ولكن تحت الظروف الراهنة أصبحت النتيجة معلومة بدقة ، فقد فازت الجبهة الجمهورية بنجاح لفظى وتمكن الشيوعيون بالمناورات الانتخابية من زيادة تمثيلهم بخمسين مقعدا (وهو عمل رأى فيه ادجار فور الذكى ثمنا بخسا فى سبيل اتفاق منديس فرانس أما ما أدهش الجميع فان قوات بوجاد المناهضة للضرائب انتخبت مايقرب من خمسين نائبا .. فاصبح الموقف فى الجمعية يشبه ماكان عليه عام ١٩٥١ بمعارضة تبلغ ٢٠٠ نائبا من ٦٠٠ نائب

وقد دعا الرئيس «كوتي» الجبهة الجمهورية التي أحرزت نجاحا في الناحية الفنية ـ لتشكيل الحكومة الجديدة ولكنه وجه الدعوة الى «جي موليه» **كرئيس للحزب الاشتراكي وهو اكبر حزب في التحالف وكان هناك أمل** وقتي في أن يتنحى جي موليه ويخلي مكانه للرئيس الحقيقي للجبهة ، ولكنه في نوبة من الافتقار الى المفاهيم السياسية العملية قبل الدعوة كواجب مفروض عليه نحو حزبه وقاد الجمهورية الرابعة نحو مصيرها المحتوم •

وقد مضى عام ونصف في السير بالمسرحية المحزنة وراء الحرب العنيفة الوضيعة في الجزائر ، كذلك حملة السويس الطائشة وازدياد نفوذ العسكريين في الجزائر وتدخلهم في الامور ، وصمود الجند المحترفين الذين أهمل أمرهم وازدحام السياسيين الحديثين كالانتهازيين فوق مسرح الحوادث جعل ألا سبيل الا لحل واحدممكن لقد كانت الحكومة في باريس مفلسة مصابة بالشلل •• فأي تكتل في مائة ناخب ينضمون الى المعارضة الدائمة يمكنها أن تقف في وجه أي اجراء، واي اجراء نافع كان عرضةلان يقف فيوجه مائةناخبمن أجل مصالحهم الخاصة ، **أما منديس فرانس فقد اكتسح من المسرح السياسي بحملة سياسية فاضحة لامثيل لها** • لقد بقي في فرنسا رجل واحد يمكنه أن يغير مجريات الامور• وقد استمرت صحف باريس الخاصة في التساؤل الى أي حد يمكن الانتظار • **وهنا فاجات جماعة من الناس في الجزائر هذا الحشد من نسور السياسة ، كان لا بد من عمل ما ولكن الحكومة ظهرت بمظهر العجز وأخيرا ظهر ديجول بعد أن اكتملت له جميع مبررات ظهوره • ويمكن لفرنسا أن تكون آمنة بين يديه ولكن حتى تكون هناك فرصة جديدة للاختيار وكيف يكون الجواب ؟**

الكبرياء المحموم

السياسة الفرنسية عام ١٩٥٩

بقلم أوجين ويبر أستاذ التاريخ المساعد
بجامعة كاليفورنيا لوس انجيلوس

لما كان التاريخ سجلا تفسيريا لاحداث الماضي وليس تنبؤا بالمستقبل فان تدوينه يتضمن غالبا تعضيدا للجياد الرابحة ، وذلك باظهار كيف حدثت الوقائع بالصورة التى تمت عليها ، وكيف أن الاحداث التى كان يمكن أن تقع لم يقدر لها الوقوع ، ان الحقائق التى نتطلع اليها والانماط التى نتبينها أو نكتشفها تبدو واضحة جلية لانها أحداث برزت فى الواقع من مجموعة كبيرة من الاحتمالات ومن ثمة فاذا اكتملت لدينا الاتجاهات التى نبدأ منها وتزودنا بالدوافع الجاذبة لمعالجة المادة التى نحن بصددها تلك المادة المختارة بعناية فان التفسير لايصبح أمرا عسيرا ، والامر يصبح أكثر صعوبة اذا كانت البيانات الاولية قاصرة وعندما يتطلب الامر الحكم والتنبؤ لاالتفسير وعندما يكون المؤرخ مطالبا برسم صورة المستقبل لا بتفسير الماضى ، وهو لم يعد يكتب تاريخا لميدان السباق اذا جاز لنا القول محاولا اظهار كيف ولماذا يتم السباق الكبير ودور الجياد والخطط المدروسة وهو بهذا كمن يراهن أو على الاقل اذا لم يكن لديه مال كاف يقدم خدماته كأحد الادلاء فى ميدان السباق .

لقد انتهت حديثا احدى الجمهوريات كسابقتها ، نظام حكم يقوم وآخر ينتهى أمره ، فما الاثر الذى يتركه ذلك على السياسة الخارجيه لفرنسا وعلى اتجاهاتها ازاء الحلفاء والاعداء أو المحايدين ؟ وما الذى يمكننا تصوره وما الذى يمكننا توقعه وسط هذه الدوامة من الاحداث الجديدة ؟

والمؤرخ وقد لبس مسرح الانبياء لمواجهة هذه الاسئلة يعود بالاشياء الى أصولها ويركن الى مااعتاد عليه ويستشف صورة المستقبل من وحي الماضي ٠

وهناك عوامل معينة قائمة فعلا يمكن تمحيصها اعتقادا بأنها تؤثر على سياسة الجمهورية الخامسة كما اثرت على سابقتها الجمهورية الرابعة ، فهناك أولا مما يدخل في الاعتبار ـ المعاهدات ـ والمحالفات ـ والمنظمات الدولية التي اشتركت فيها منذ نهاية الحرب ، وهناك أيضا الرأي العام وتوجيهاته وميوله وتركيزه على المسائل المختلفة في السياسة الخارجية ، وهناك أيضا شخصية رجل الدول الجنرال ديجول ٠٠ آراؤه ، مقاصده ، (مانعلمه عنها وما يمكن أن نستنبطه منها) ،ونحن في دراستنا لكل هذه الاشياء نجد أن هناك على الاقل بعض الامور الثابتة وبعض الميول التي تظل سارية مهما تغيرت الحكومات اوتغيرت السفارات وهي تؤثر على الدول كما تؤثر على الافراد ٠

وفرنسا بطبيعة الحال عضو في هيئة الامم المتحدة ولكن هذا بطبيعة الحال أيضا لايقتضي استبعاد المعاهدات الخاصة مع الدول الاخرى أو مجموعات الدول الاخرى ٠

هناك أيضا اتفاقية ثنائية مع روسيا وقعها شارل ديجول عشيية التحرير ، ما زالت سارية المفعول وكذلك معاهدة دنكرك عام ١٩٤٧ التي تعهدت فيها كل من بريطانيا وفرنسا بالعون المتبادل في حالة قيام عدوان الماني جديد ، وفي بروكسل عام ١٩٤٨ دخلت الحليفتان في معاهدة مع بلجيكا ولكسمبورج والاراضي الواطئة تهدف أساسا الى الدفاع الجماعي ، ومن أهدافها أيضا تنمية التعاون في الشئون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية،ثم انضمت كل من ايطاليا وجمهورية ألمانيا الاتحادية الى معاهدة بروكسل التي أصبحت اتحادا لغرب أوروبا وفقدت طابعها الإصلي المعادى لإلمانيا واكتسبت مظهرا جديدا في

مستوى الاحداث لمعاداة روسيا فى ذات الوقت الذى أصبح من الواضح فيه أن الدفاع عن غرب أوروبا فروسيا كان فى حد ذاته قضيـــة خاسرة ٠

ليست هناك معاهدة قائمة بين فرنسا والولايات المتحدة ، الا أن كلا من الدولتين عضو فى منظمة حلف شمال الاطلنطى جنبا الى جنب مع بقية أعضاء اتحاد غرب أوروبا بالاضـــافة الى كندا والدانمرك واليونان وايسلنده والنرويج والبرتغال وتركيا ، والمقر الدائم لتلك المنظمة ٠ موجود فى باريس كما توجد فى ضواحى باريس القيـادة الحربية لتلك المنظمة ، غير ان منظمة حلف شـمال الاطلنطى التى أنشئت عام ١٩٤٩ لتواجه التهديد الحربى الروسى سرعان ما فقدت هدفها الاصلى كحلف عسكرى تقليدى فى العالم القديم لعصر ما قبل الذرة ٠ وقبيل عام ١٩٥٩ سمح لالمانيا الغربية بالانضمام الى المنظمة عقب نوبات بطولة من الشد والجذب ، ومن ثم أصبحت المنظمة أقرب الى الخواء ـ رمز اكثر منها حقيقة والروابط المحددة بين الاعضـــاء الغربيين كانت تتماسك فى ميدان آخر ، اتحاد الصلب والفحـــم ومركزه الرئيسى فى لكسمبرج والذى قام منذ عام ١٩٥٢ بتسويق مصادر الصلب والفحم فى فرنسا وايطاليا والمـانيا الغربية ودول البنلكس وفى السوق المشتركة التى انشأتها تلك الدول ذاتها وفى منظمة الطاقة الذرية التى انشأتها تلك الدول ايضا ٠

منظمة اعتقادية :

ان معاهدات عام ١٩٥١ التى عززت مشروع شومان المزعوم واقامت اتحاد الصلب والفحم ، والاتفاقيات التى أنشأت فى عام ١٩٥٧ منظمة الطاقة الذرية والسوق المشتركة ، تلك المعاهدات التى ان نجحت أو هيء لها جو النجاح ، فانها تخلق وحدة اقتصادية بين الدول الاعضاء وهى مجموعة من المصالح المتداخلة من الصعب فعلها اكثر مما كانت

عليه الحال فى الولايات المتحدة عندما فرضت عليها الوحدة فى عـام ١٨٦٠ ، ولكن اذا أمعنا النظر فيما وراء تفاهات التصريحات الرسمية فهناك من الاسباب مايدعو للشك من خرق الحكومات الفرنسية بصفة دائمة للاتفاقات عبر السنين ، وفى أعقاب النكسة الصناعيـــة التى أحاقت بأوروبا هذا الشتاء والتى أدت الى البطالة وتقليل الطلب على معظم المنتجات وتكديس المخزون من الفحم والصلب غير المباع ، حدث احتكاك بين اعضاء منظمة الفحم والصلب ودارت فيها مناقشات حادة عن الاسعار والكميات المخصصة لكل عضو فجعلت من السوق المشتركة منظمة عديمة النفع وذلك عقب ميلادها بأسابيع ٠

ويرجع جزء من مسئولية هذه الصعاب الى أن الحكومات الفرنسية المتعاقبة التى كانت تحدوها الرغبة لحقن تكاليف المعيشة تعمدت على الابقاء على بعض أسعار الحديد والصلب بوساطة خفض الاقراض على الاستثمارات وبذا جعلت من الاسس الحرة التى تقوم عليها منظمة الفحم والصلب الاوروبية مجرد لغو فارغ ٠

وقد وجدت السلطات العليا فى لكسومبرج نفسها عاجزة عن تنفيذ الاتفاقات التى قامت من أجلها ومن ثم فقد سادت قوانين الغـــاب الاقتصادية ، وحلت محل قواعد المعاهدة ولجأت كل دولة من الاعضاء الى خرق نصوص المعاهدة كلما كان ذلك فى صالحها دون الاكتراث بتنسيق سياستها الوطنية مع سياسات الاعضاء الآخرين ٠

وليس هناك من دليل على أن الحكومة الفرنسية الجديدة سـوف المشرع فى اتخاذ اجراءات مادية لتغيير هذا الموقف او تضييق الهوة بين النوايا الطيبة والتطبيق العملى ، وقد ســارت فى الاشهر المـاضية القليلة على خطة تزييف الاجراءات الاقتصادية تحت ستار تنمية السوق المشتركة والتعاون بين الاعضاء ولكن قد يكون هذا الى حد ما رغبة منها فى الاستثمار باحتمالات اخرى ، والسوق الخاصة بالدول الست

لها مايقابلها ، سوق أكثر سعة تتولاها بريطانيا وتقصد بها أن تكون اقل تماسكا واكثر قابلية للانضمام اليها ، وقد وجد ديجول نفسه في مواجهة احتمالين يختار بينهما مثلما واجه بسمارك منذ قرن مضى فرصة الاختيار بين اتحاد صغير ثابت وآخر على نطاق واسع ، وقد اختار ديجول أوروبا الصغرى ، الا أن أوروبا الصغرى هذه في نظره تقتضي التضحية بها بالنسبة للازمات الداخليـــة وتعني في نظره كذلك نظاما سياسيا أكثر منها نظاما اقتصاديا ، ومنطقه هذا ستجلوه الاحداث ولكننا حاليا بصدد حالة فرنسا كعضو في معاهـــدات أو منظمات يتراوح أعضاؤها بين الاثنين والخمسة عشر عضوا باستثناء الامم المتحدة وليست هذه المعاهدة متماسكة ، والتكوين المعقد المتعدد الجوانب لتلك المحالفات قد اضر بميلاد او استقلال دول جديدة في آسيا وافريقية وبانتقال الصراع بين الشرق والغرب من أوروبا الى الشرق والشرق الاوسط وربما يعود حاليا الى أوروبا وبالعـــلاقات العدائية مع العالم العربي وبالاتفاق الودى المتزايد مع اسرائيل (والذى قد يكون مؤقتا فقط) وبالاحتكاكات التى تؤثر فى أوفق العلاقات بين الدول الاعضاء •

وهذه هى النقطة التى تبدأ منها السياسة الخارجية الفرنسية فى عالم تظله القنبلة الذرية ويقع تحت تأثير المنافسة بين معسكرين متضادين ـ الشرق والغرب ـ (أو على وجه التحديد كما ينظر اليه فى أوروبا) روسيا والولايات المتحدة ـ وهذه هى الحقيقة المحددة التى يجب على فرنسا مواجهتها •

وبالنسبة لهذا التراث وما يتضمنه من تعقيدات وبالنسبة للامور الجديدة التى تنشأ من وقت لآخر فان الرأى العام الفرنسي يتجدد ويتبلور وفي خضم المشاكل التي تواجه المواطن الفرنسى العادى نجد أن الشئون الخارجية تشغل حيزا من تفكيره وتأتى فى المرتبة الثانية

بعد مسائل السياسة الداخلية ، وعلى هذا نجد أن الحرب فى كوريا أو أزمة عبدان فى عام ١٩٥١ لاقت اهتماما أقل من المناقشات البرلمانية حول المسائل التعليمية ، على حين تلقى مسألة اعادت تسليح المانيا اهتمام عدد أكبر من السياسيين اكثر من مسألة كوريا فان عددهم لايمكن ان يقارن بعدد اولئك الذين يهتمون بمسألة اسعار اللحوم ، ومن الواضح ان الفرنسيين لا يختلفون فى هذا الشأن عن الشعوب الاخرى. ان الفرنسيين شديدو الاهتمام بمسائل الامن وانعكاس هذا الاهتمام فى الحقل الخارجى هو رغبتهم فى السلام ، وفى غضون الاثنى عشر عاما الماضية كان العالم منقسما الى معسكرين ، وكان الفرنسيون شديدى الادراك لهذه الحقيقة واختاروا ان يقفوا فى معسكر الغرب لا عن رغبة ولكن كضرورة أملاها الموقف وليس الغرب هو محور كراهية الشعب الفرنسى ، فان هذا ابعد مايكون ولكن مايكرهونه فعلا هو الحاجة الى الاختيار اى الموقف الذى يقف فيه كل من العدوين

واذا كان لابد من الاختيار ، وقد كان هذا هو الحال فان فرنسا تقف بجانب الغرب دون منازع الا أن وقوفها بجانب الغرب هو البديل الافضل لعزوفها عن كل من الجانبين، والفرنسيون من غير الشيوعيين لايرغبون فى محاربة الشيوعية الدولية او روسيا كما هى الحال فى عدم رغبتهم خوض حرب مع الولايات المتحدة ، والصراع بين القطبين الكبيرين يشكل بالنسبة لهم خطرا حقيقيا على السلام وهو هدفهم الاسمى [٣]

والشعور فى فرنسا ضئيل بالنسبة لعدالة القضية الغربية اللهم الا فيما يتعلق بالمحافظة على الوضع الراهن ، والفرنسيون شأنهم فى هذا شأن باقى الشعوب الاوروبية ينظرون الى العدالة كمظهر من مظاهر القوة والملاءمة ، وينظر الفرنسيون الى العدالة نظرة نسبية اكثر منها نظرة شاملة ، وعندما ينصتون الى اى صوت العدالة فى

جانبهم ، فانهم أيضا يصيخون السمع الى صدى نفس الاعتقاد من الجانب الاخر ، فعندما يقال لهم أن ميول الروسيا التوسعية تهدد السلام العالمى فانهم يرددون ـ ان خطأ أو صوابا ـ بأن الولايات المتحدة لديها نفس الميول وان كانت أقل وضوحا للعيان ، والموقف كما يرونه صراع بين القوى ، فيقع مسئوليته على كلا الجانبين الا أن مسئوليات روسيا تبدو أكثر بقليل من الدولة الاخرى ، ومن بين كل عشرة فرنسيين يعتقد اثنان أن روسيا مدانة بالاتجار بالحرب أكثر من أى دولة أخرى ، وواحد من بين كل عشرة يضع الولايات المتحدة فى المرتبة الاولى ، الا أن أربعا من بين كل عشرة يعتقدون ان الدولتين مسئولتان بالتساوى عن الاضطراب الذى يسود العالم ، ولا يعتقد الفرنسيون أن الامريكيين أو الروس يبذلون ماينبغى عليهم بذله لتجنب الحرب، كما انهم لايطبقون مايقولون ولايحاولون التوفيق بين كلماتهم السلمية وتلميحاتهم التهديدية ، ليس هناك سوى السياسة السوفيتية ، وليس هناك سوى القليل عن السياسة الامريكية ، مما يدفع سياسة كل منهما بالنفور •

وعلينا الا نقع فى الخطأ الشائع الذى يعزو مثل هذه الافكار للشيوعيين وحدهم والذين لاوطن لهم المعاديين للنظام الرأسمالى الحر والمعاونين لهذه الدولة ايضا ، ومن الواضح ان اى صوت يعطى للحزب الشيوعى يتضمن نوعا من العطف بالنسبة للامور التى تنادى بها الروسيا ، الا انه ليس كل ناخب شيوعى بالضرورة يقر السياسات الروسية وعلى العكس فان الاتجاه المعادى للشيوعية يتضمن شكا مريرا فى السياسيات الامريكية ، شكا ينمو فى صفوف الرجعيين والمحافظين مثلما ينمو فى صفوف الاشتراكيين •

قوة ثالثة

حتى ولو ان معظم الفرنسيين مازالوا يذكرون «خيانة» الامريكيين

لهم فى مسألة السويس بنفور ويشكون فى سياسة الولايات المتحدة فى شمال أفريقية وفى «تسلل» رأس المال الامريكى الى الصحراء الكبرى الغنية بالبترول ، فليس هناك مايدعو للتساؤل عن المعسكر الذى تنحاز اليه فرنسا اذا اضطرتها الظروف الى الانحياز ، وتقف فرنسا بجانب الغرب الذى تنتمى اليه من الناحية الجغرافية والتقاليد والانضمامات، ويمكن اذا اتيحت لهم حرية الاختيار فان معظمهم على الارجح سيفضلون الوقوف على الحياد ، ومن ثم فقد ظهر الحديث القديم لكتلة ثالثة تقف بمفردها بين الشرق والغرب ، ذلك الحديث الذى تبخر بينما بقيت الفكرة حية ، ومن ثم كان الاصرار على ايجاد كتلة أوروبية فعالة قادرة على التماثل مع الاخرين فى السكان والموارد والطاقة والانتاج ، تلك الكتلة التى قد تهىء امكان الاستقلال الذى يعنى فى نظر الرأى العام السلم وعدم الارتباط فوق كل شىء وتعنى كذلك الحماية الفعالة للمصالح الوطنية وتدعيم العزة الوطنية ، وهذا قد يفسر ولو جزئيا احجام فرنسا عن قبول المشروع البريطانى الاكثر غموضا وتفككا والذى يقضى بتكوين منطقة تجارية حرة ذات فرص قليلة لكى تصبح قوة حرة ، كما يوضح استعداد فرنسا للانضمام الى ألمانيا فى اتحاد أكثر فاعلية واكثر تعبيرا ٠

العلاقات الفرنسية الالمانية :

ان التقارب الحديث بين ألمانيا وفرنسا يحتاج بالتأكيد الى بعض الايضاح ولا يكفى القول أن الحاجة أيا كانت واضحة وان التعقل قد ساد أخيرا ■

وهذا حق بصفة خاصة عندما يتعادل التعقل مع مثل العوامل العاطفية القوية كشك الفرنسيين بل عداوتهم بالفعل لالمانيا ، ذلك الشك والخوف الذى تزكيهما الحروب الالمانية الثلاث السابقة والمنافسة القديمة بين البربون والهابسبرج كانا من القوة للابقاء على

مشروع الدفاع الاوروبى (الذىتشترك فيه كل من ألمانيا وفرنسا) فى حالة توقف لمدة أربع سنوات ، وهذا الشك كان سببا فى تهاوى ذلك المشروع أخيرا فى عام ١٩٥٤ ، واستبداله باتحاد غرب أوروبا والذى يشمل انجلترا لكى يتعادل مع مخاوف الفرنسيين من السيطرة الالمانية) وتنفيذ هذا فى اللحظة الاخيرة تجنبا للتهديدات الموجعة من جانب جون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة ، الا اننا نجد الفرنسيين بعد مضى شهور قليلة (وهم الذين رفضوا الموافقة على أى تنظيم عسكرى يشمل ألمانيا بدون ضمانات خاصة مع شرط اشتراك انجلترا المطمئن) يصممون على قيام تنظيم اقتصادى أكثر ترابطا من مشروع الامن الاوروبى الذى سبق ان رفضوه وبشرط عدم اشتراك انجلترا فيه .

وللانسان ان يقرر انه بالنسبة للوطنيين الفرنسيين القدامى ان يعتبروا أية معاهدة اقتصادية أقل مرتبة من معاهدة عسكريه ، وان تجميع الموارد الاقتصادية يمكن قبوله بيسر اكثر من الناحية العاطفية والذى يمكن تجنبه من الناحية العملية أكثر من تجنب تجميع قوات دفاع وطنية ، وفيما يختص بالمصالح الاستعمارية نجد المواطن الفرنسى يشعر بشك أقل من ناحية ألمانيا غير الاستعمارية أكثر مما يشعر نحو المنافسين التقليديين أمثال بريطانيا ،أو نحو النقاد الذين لايشعرون نحوه بعطف مثل أمريكا .

ولكن هذه المنطقة بالذات تعود بنا الى حيث بدأنا ، ففرنسا المستقلة فى أمورها لايمكنها فى الواقع المحافظة على حريتها ناهيك عن تأكيدها تحت رعاية الولايات المتحدة أو فى نطاق المصالح المنوعة المفككة الذى تبغيه بريطانيا ، واذا كان لابد من المشاركة كما يقول الفرنسيون فلا بد مما ليس منه بد على أن تكون مشاركة مع قوة مثل قوتهم والتى لاتقع مصالحها .. مثلهم فى دائرة اى من الجانبين والتى

تكون أمانيها الوطنية متجهة نحو حكم الفرد المطلق مثلهم وليس نحو الاعتماد المتبادل ٠

ولا بد بالطبع من مراقبة ألمانيا ، فان رغبتها فى اعادة وحدتهـا واشتياقها لاعادة أراضيها الضائعة فيما وراء «الاودر» ليس هتما فى حد ذاتهما تهديدات للاستقرار الدولى والسلام ، الا أن فرنسا القوية المعتمدة على نفسها قد تأمل فى الحد من هذه الميول الخطرة ، ومنذ تولى شارل ديجول زمام الحكم استعادت السياسة الفرنسية ثقتهـا بنفسها ومقدرتها على اتخاذ القرارات وذلك ماكان يعوزها خلال العشر السنوات الماضية ، وأصبح فى مقدورها مواجهة الاشتراك مع ألمانيا دون تأنيب الضمير ، وقد أدرك الفرنسيون مثل باقى الاوروبيين تعرض مركزهم للخطر كدولة فى وسط الاعداء وقد جعلهم هذا يميلون الى تحبيذ أى شىء يؤدى الى تخفيف التوتر وتقليل فرص أى صراع أو جعله وحشيا ، مثل الرقابة أو خطر استعمال الاسلحة الذرية (اذا تيسرت لهم) ومشروع راباكس لتحرير وسط أوروبا ، ونزع السلاح ان أمكن وسحب القوات الاجنبية من أرض أوروبا سواء أكانت أمريكية أو روسية ، وهذه كلها أمور تعكس العواطف الشعبية غير انهـا لاتنعكس دائما فى السياسة ٠

وبالطبع فان العاطفة الشعبية لاتقف بمفردها ، فهى ستكون من مستويات وتيارات مختلفة ، تزكيها مصالح مختلفة أو جماعات وتتأثر بالحوادث وبالرجال ٠ وبالرجال الذين يسيرون الاحداث او يحاولون ذلك ، وهذا يقودنا الى العامل الثالث فى مكونات السياسات الفرنسية ـ حاليا وربما فى المستقبل ـ الجنرال ديجول ٠

هدف ديجول :

ليس هناك سوى القليل من الافتراض بأن هدف ديجول النهائى هو السلام رغم ان السلام ومشكلة تأمينه لبلاده لا يمكن ان تغرب

عن ذهنه الا انها ليست موضع اهتمامه الرئيسى ففى اول صفحة من مذكراته قال ان هدفه كان وسيكون دائما عظمة فرنسا ومجدها ٠

ففى فرنسا لايمكن أن تكون فرنسا دون المجد ، وقد نما هـــذا الاعتقاد فى داخلية نفسى منذ ولدت ، فأبى كان مفعما بالعاطفة ازاء فرنسا ٠ وعاطفة امى الجارفة نحو الوطن تتساوى فقط مع عاطفتها الدينية ، وأخوتى الثلاثة وأختى وانا لدينا كطبيعة ثانية نوعا من الكبرياء الملهوف نحو وطننا ، ولم يخلب لبىَ شيء اكثر من رموز مجدنا فالليل فوق نوتردام وروعة الامسية فى فرساى ، وقوس النصر تحت وهج الشمس ، وأعلام البلاد المهزومة التى تهتز تحت أقواس قصر الانفاليد ٠

وهذا كلام شاعر تحدوه حاسة التاريخ ، شاعر جعل من وطنـه أسطوره ٠

وهذا الشاعر قد اصبح جنرالا وبطلا وطنيا ومنقذا لذلك الوطن مرتين فى غضون خمسة عشر عاما الماضية ، ومن مركز القوة الحالى الذى يتمتع به وبواسطة رجال مثل رئيس الوزراء ميشيل دوبريه الذى لايعدو كونه صوتا لسيده ، فانه يستطيع تنظيم شئون بلاده كما لم يكن فى مقدوره أو فى مقدور غيره أن يفعل فى غضون الاربعين عاما الماضية وشغله الشاغل هو استعادة قوة فرنسا وعزتها التى بدونهما كما سبق أن قال : لايمكن للدولة أن تكون دولة ٠

وما من شيء جديد أو غير متوقع فى كل ما سبق فالجنرال شارك نفور مواطنيه من عجرفة الحلفاء ورفض هؤلاء المواطنين الانحياز الى جانب ما بحيث يتعذر الاتصال بالجانب الاخر ، وهو لايشاركهم فقط بل كان صوتهم المتحدث بأن فرنسا فى طريقها الى التفكك والانهيار والانقسام ، ولقد رفض ادخال وحدات فرنسية فى الجيش الاوروبى ولكنه لم يرفض التعاون الاقتصادى ، لان هذا لاعتقاده فى ان اتفاقا

مع ألمانيا يعقد فى يقظة لخير من تبعيته لحلفاء أكثر منه قوة ٠

فاذا ما اتيح لهالسلام والادارةالحكيمة ، والحظ الحسن فوق كل شيء عندما يعتمد الحظ على أرواح هشة كأرواح كونراد ادناور ، أو اتفاقات ضعيفة كما يحدث الان فى السياسة الداخلية الفرنسية ، أو الولاء الهين كما هو الحال فى الجيش ، اذا ماقدر له أن يتغلب على هذه الصعاب فان سياسته قد تثمر كثيرا ، وهذه السياسة توافق مزاج الرأى العام فى الوقت الحاضر ذلك الرأى العام المتعطش الى الهيبة التى حرمت منها فرنسا منذ وقت طويل والمتعطش أيضا للاستقلال ، والاغلبية العظمى يحتمل أن ترى فى الاستقلال أو عدم الارتباط املا فى السلام والامن وتركيزا للمصالح الفرنسيةالخاصة ويعلم ديجول انه مامن مصلحة فرنسية يمكن حلها على انفراد بعيدا عن حقول السياسة الدولية المتشابكة ، ولكن الرئيس الجديد للجمهورية الخامسة يأمل فى عالم تتصارع فيه القوى العملاقة ، أن يخدم المصالح الفرنسية بأمة أعيدت اليها قوتها أمة يقل ارتباطها بالدول الاخرى ويقل اعتمادها عليها ٠٠

ولايتطلب هذا تغييرا فى السياسة أو التوجيه ، ولكنه يتطلب طابعا جديدا من القوة وثقة جديدة واعتزازا جديدا بالنفس ، وفرنسا قد لاتواتيها العظمة التى يحلم ديجول أن يرفعها اليها ولكن فى مقدورها الافادة من العزم الجديد والايمان الكامل الذى يقدمه لها وهو الكبرياء الملهوف الذى تعبر كلماته عن ادق وصف للسياسة الخارجية بعد فترة طويلة من الجمود والارتباك ٠

ديجول ومجتمعه الفرنسى

بقلم بنيامين ريفلين
استاذ الاقتصاد السياسى بكلية بروكلين

خلال رحلته التى قطع فيها ١٣٠٠٠ ميل فى الامـــلاك الفرنسية الافريقية أعلن الجنرال شارل ديجول أن للمتلكات التابعة لفرنساحق تقرير مصيرها حتى الى حد اختيار الاســـــتقلال ، وقد اوضح فى مدغشقر وأفريقية الاستوائية وغرب أفريقية علىالتوالى أنه بالتصويت بكلمة «لا» فى استفتاء ٢٨ سبتمبر ١٩٥٨ على الدستور الفرنسى فان الممتلكات المذكورة تنفصل عن فرنسا ، وقد أوضح بالاضافة الى ما تقدم انه حتى بعد التصويت بكلمة (نعم) وبذلك تصبح تابعة للمجتمع الفرنسى الجديد يمكنها ان تغير من رأيها لتقرر مستقبلها باستقلال فى الرأى .

وهذا الوعد بالحق الدائم فى تقرير المصير يتعارض تعارضا ظاهرا جدا مع تصريحات ديجول فى خطابه الافتتاحى فى مؤتمر برازفيل فى ٣٠ يناير ١٩٤٤ ، بأن هناك ارتباط دائم بين فرنسا وممتلكاتهـــا عبر البحار ، اما رينيه بليفان فقد اخطر المؤتمر (كان ديجولوقتذاك قومسيرا للمستعمرات) أن هناك أناس تعتزم أن تأخذ بيدهم خطـوة خطوة نحو ابراز شخصيتهم وسيعطى أكثرهمنضجا الحريةالسياسية انهم لايرغبون فى استقلال يتعارض مع الاستقلال الفرنسى .

واذن لم كان هذا التحول اليوم ؟

والاجابة على هذا تنحصر فيما يأتى :

١ ــ انتصار القومية الوطنية فى عالم المستعمرات فىالوقت الحاضر الذى نتج عنها استقلال مايقرب من ١٢ دولة ؛

٢ - فشل الجهود الفرنسية في ذلك الوقت للتمشي مع التطورات التي تسير بخطى سريعة .

ولقد كان رد فرنسا على انتشار الوطنية هو «الاتحاد الفرنسي» الذي كان ثمرة مؤتمر برازفيل في عام ١٩٤٤ ، والذي قام على الاعتقاد الراسخ أنه ليس من صالح الام الكبرى أو الممتلكات عبر البحار إن الارتباط الدائم ، ولهذا أشار الدستور الفرنسي في عام ١٩٤٦ الذي تنفصل احداها عن الاخرى ، والوحدة الفرنسية هي الاطار الاداري لهذا انشأ الوحدة الفرنسية ، اشار الى نوايا فرنسا لارشاد الناس الذين أخذت مسئولياتهم على عاتقها نحو الحرية في حكم انفسهم وادارة دفة الاعمال الخاصة بهم بطريقة ديموقراطية ، غير أن هذا ينقصه موافقة الممتلكات عبر البحار على هذه الوحدة ، او على حقهم في الانفصال او الاستقلال ، بالاضافة الى ذلك فانه رغم اعلان الدستور لحق المساواة فان هذه الوحدة لاتقوم بين أفراد متساويين في الحقوق على غرار الكومنولث البريطاني ولكن نظام تتمتع فيه الامبراطورية الفرنسية بمركز عال مسيطر .

وفي واقع الامر ان الوحدة الفرنسية الى حد كبير حلم لم يتحقق ثم هو تغطية وتخليد للنظام الاستعماري القديم ، فالحكم الداخلي الذاتي كان المثل الأعلى - ولكن التشريع الخاص بالممتلكات عبرالبحار ظل في يد البرلمان الفرنسي كما ظلت ادارتها في أيدي حكام تعينهم الحكومة الفرنسية ويتمتعون بالمسئولية الوحيدة فلا غرابة اذن في ان الاتحاد لم يثبت انه ند للقومية الوطنية في ممتلكاتها عبر البحار .

وقد تعرض الاتحاد الفرنسي منذ البداية الى مواقف غاية في التهديد فالثورات والاضطرابات المسلحة هزت الهند الصينية ومدغشقر والقومية المتزايدة في مراكش وتونس حالت دون قيام هاتين الدولتين بالدور الذي كان منتظرا قيامهما به في الاتحاد الفرنسي ، على حين انه في

الجزائر استمر المسلمون فى اظهار نفاذ صبرهم، وفى أفريقية لجنوب الصحراء الكبرى لاحت فى الافق بوادر الاضطرابات بالقلاقل المتفرقة واظهار عدم الرضا عن سياسة التمثيل الفرنسية حتى بين غالبيـة النخبة المثقفة ، وقد كان رد فرنسا على هذه المواقف لايتناسب مع معنويات الاتحاد الفرنسى فيما يختص بالمساواة وحرية الممتلـكات فى حكم نفسها بنفسها ولكن على نقيض هذا يمكن أن توصف السياسة الفرنسية بالسيطرة والكبت على النظام الاستعمارى القديم ، ولم تنجح هذه السياسة فى القضاء على الثورة ألا فى مدغشقر ، أما فى الهنـد الصينية وشمال افريقية ، فان استعمال سياسة فاشلة تلو أخرى أدى الى ضياع فيتنام ولاوس وكمبوديا ومراكش وتونس كما أدى الى الحرب الاهلية المريرة فى الجزائر ، وخلال هذه الفترة بررت فرنسا موقفها تجاه البلاد التابعة لها عبر البحار بأنه طالما كانت الوطنيـة لاتتمشى مع الاتحاد الفرنسى فالوطنية اذن لاوجود لها .. أما ان هذا كان خداعا للنفس فقد وضح وضوحا تاما ، غير أنه يسبب العاصفة التى حركتها هذه النتيجة وشلل الجهاز الحكومى للجمهورية الرابعة فلم يعمل سوى القليل لتصحيح الوضع فى وقت يسمح بمنع الانهيار الذى حدث فى الهند الصينية وشمال أفريقية .

قانون ١٩٥٦ :

والدروس التى نتجت عن هذه التجارب خلال العشرة السنوات الاولى من الاتحاد الفرنسى لم تضع كلها هباء ، ففى عام ١٩٥٦ اصبح من الواضح اذا لم يتخذ اجراء على وجه السرعة فان غرب افريقيـا الفرنسى وفرنسا الاستوائية الافريقية ستسيران فى نفس الطريق الذى سارت فيه الهند الصينية وشمال افريقية ولمواجهة هذا الموقف أصدرت الحكومة الفرنسية قانون عام ١٩٥٦ ، هـذا القانون والتشريعات التى تفرعت منه تهدف الى اللامركزية الادارية فى غرب

افريقية الفرنسى فى افريقية الفرنسية الاستوائيةومدغشقر ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت السلطة بيد الحاكم الفرنسى فى كل من هـذه البلاد على التوالى ، وطبقا لهذا الاصلاحالذى تم عام ١٩٥٦ فان الثمانى حكومات الوطنية فى غرب افريقية الفرنسى وهى السنغال وموريتانيا والسودان الفرنسى ، وغيانه الفرنسية ، وساحل العاج ، وفولتـا الاعلى ، وداهومى والنيجر ، والممتلكات الاربع فى افريقيةالاستوائية الفرنسية وهى (جابون • ووسط الكونجو • وأوبانجى نشارى • وتشاد) أعطيت كلها كثيرا من هذه السلطة •

وكان القصد من هذا فى البداية تحويل للسلطة على نطاق ضيق من الحكومة المركزية الفرنسية للحكومات الافريقية ، وكجزء من هذا الاجراء الخاص بالحكم الذاتى الداخلى انشئت مجالس حكومية فى جميع هذه البلاد •

ويختار هذا المجلس من بين أعضاء الجمعية الاقليمية القائمة فعلا ويكون مسئولا أمامها ، ورغم أن كلا من هذه البلاد لها «رئيس حاكم» معين فان المفهوم أن الرئيس الفعلى للمجلس هو نائب رئيسالجمعية المنتخب ، وقد منحت الجمعيات الاقليمية سلطة التشريع المحـدد المختص بأمور معينة قبل الزراعةوالغابات والمصايد والصحة ،وبعض مسائل التعليم الابتدائى والثانوى ،وتخطيط المدن والتجارة الداخلية وما شابه ذلك •

ورغبت الحكومة الفرنسية بأدخالها هذه الاصلاحات فىاعطاء سكان ماوراء البحار شعورا متزايدا بمسئولياتهم المدنية ، مع تمكينهم من الحصول على تجارب أكثر فى ادارة الاعمال العامة ، ومما يثيرالانتباه ان نلاحظ ان اجراء الحكم الذاتى الداخلى قد منح علىمستوى اقليمى ولكنه لم يتخذ اى اجراءللحكم الذاتى علىمستوى اعلى اى فيمايختص بافريقيا الاستوائية كوحدة ـ أو بغرب أفريقيا ـ أو مدغشقر • كما

لم يوضح في الاعتبار ، اية اشارة للاستقلال التام ، وفي الحقيقة كان فيلكس هوفويت بواجنى من ساحل العاج الذى كان وزيرا بلا وزارة في الحكومة الفرنسية عام ١٩٥٦ هو الذى رفض فكرة الاستقلال .

ولكن سرعان ماتبين أن هوفى بواجنى الذى لازال ينظر اليه بعين الاعتبار كمؤسس للمجتمع الافريقى الديمقراطى لم يعكس كل أمانى هذه الحركة ، وفى سبتمبر ١٩٥٧ في مؤتمر (باماكو) عاصمة السودان الفرنسى أعيد انتخاب هوفى بواجينى رئيسا ولكن أحدا لم يوافق على ميوله الفرنسية المحافظة . على نقيض هذا اتخذ المؤتمر قرارابأنه بينما يتمسك بالاراء الفرنسية الافريقية فيما يختص بالتبعية فانه أعلن بأن للناس جميعا الحق الذى لايمكن التصرف فيه لنيل الاستقلال ، بالاضافة الى هذا فقد كان باما صوتامعبرا عن عدم الرضاء وذلك بايقاف نتيجة القانون لانه كما يقولون : يهدف الى قيام العديد من الدول الافريقية الضعيفة التى تظل فى اطار العلاقات الاستعمارية الفرنسية .

استفتاء سبتمبر ١٩٥٨ :

فعلى هذا الاساس اذن ينظر الانسان الى اتجاه ديجول فيما يختص بالاستقلال فى عام ١٩٥٨ لم يؤيد ديجول استقلال المستعمرات كما لم يؤيده فى عام ١٩٤٤ وهو الان يدرك تماما ماحدث فى العالم المستعمر منذ عام ١٩٤٤ خاصة بالنسبة للاغراء الكبير الذى يمثله استقلال غانا لدى الافريقيين ، كما انه يدرك أيضا المتاعب التى لاقتها فرنسا وعلى الاخص فى الهند الصينية والجزائر . عندما واجهت تحدى القومية فى المستعمرات ، وعلى هذا فلم يجد ضرا لفرنسا من الاصرار على اتباع سياسة مؤتمر برازفيل عام ١٩٤٤ التى استبعدت

أى فكرة عن الحكم الذاتى وأى احتمال لتطور يخرج بها عن الكتلة الفرنسية للامبراطورية ٠

ان منح الافريقيين الذين يعيشون فى جنوب الصحراء الكبرى فرصة الاختيار بين الاستقلال أو الانضمام الى المجتمع الفرنسى كان عملا سيكلوجيا طيبا ، فلم يعد الاستقلال بعد الفاكهة المحرمة ، فكل ما كان ملزما هو التقدم لنيله ، حقا ان طرح موضوع الاستقلال فى استفتاء عام كان مجازفة من جانب ديجول ، فقد كان هناك احتمال لاختيار جانب الاستقلال على نطاق واسع ٠ ولكن هذا لم يكن كثير الاحتمال نظرا لحداثة الجهاد القومى فى هذه البلاد وللسرعة التى طرح بها موضوع الاختيار ونتائج الاستقلال التى شرحت شرحا وافيا ، وقد أكد ديجول أن البلد التى ترفض الانضمام الى المجتمع الفرنسى تقطع كل رابط يربطها بفرنسا ، وأضاف الى ذلك أن الاستقلال اقتراح ذو وجهين وان للبلد ان يختار الاستقلال عن فرنسا ، ولكنه بعمله هذا يجعل لفرنسا الحق فى أن تختار استقلالها عنه وعلى هذا فحق الانفصال كان مقرونا بتحذير بأن الاستقلال يستتبع قطع المعونة المالية الفرنسية وقطع الروابط الاقتصادية وسحب الفنيين الفرنسيين وهكذا ولما وجهت هذه التحذيرات الى الزعماء الافريقيين كان عليهم ان يمعنوا النظر فيها قبل أن يخضعوا لاغراء الاستقلال ٠

فضلا عن هذا فان ديجول عندما لم يقفل باب الاستقلال فى وجه البلد الذى يختار جانب المجتمع الفرنسى خفف من وقع الارتباك الذى واجهه الزعماء الافريقيون وامام هذه الظروف فان مجازفة ديجول لم تكن كبيرة ، وهب أن هذه البلاد جميعها قد أجابت بنعم فى هذا الاستفتاء فما من شك فى أن صحة هذا الاستفتاء كانت تفحص فحصا دقيقا ، والحقيقة الواقعة وهى ان غينيا عندما رفضت الانضواء تحت المجتمع الفرنسى أفادت فى اظهار اخلاص ديجول فى منح الاستقلال وأثبتت صحة الاستفتاء فى أفريقيا السوداء ٠

فما الذى جناه ديجول من اعطاء هذه البلاد الحق الـدائم لتقرير مصيرها ؟الا يتقوض استقرار المجتمع الفرنسى بالتهديد المسـتمر بالانفصال من جانب اعضائه ؟ والانوقد ترك باب الاستقلالمفتوحا فقد أعطى ديجول المجتمع الفرنسى طابع الارتباط الاختيارى ، وترك الوقت لفرنسا لتثبت مايأتى :

١ ـ حماقة الاستقلال تحت احتياجات الحياة الحديثة ٠

٢ ـ أن القابل العملى الوحيد لهذا الاستقلال هو الحكم الذىيتضح لجميع المفكرين الناضجين أنه فى العالم الذى نعيش فيه منالضرورى قيام جماعات كبيرة اقتصادية وسياسية وثقافية ودفاعية ٠

واذا كان هناك شىء من الاستقلال فى افريقية فهذا أمر لا يمكن انكاره كما لايمكن انكار صحة الحجج الخاصة بأخطار السير فى طريق دون معاونة الاخرينوما يعنيه المجتمع الفرنسى فىنظر الاخذين به هو اتاحة الفرصة لاثبات تفوق الاعمال المترابطة ٠

وتقوم سياسة ديجول على اعتقاد حازم بمزايا التبعية المتقـــابلة بحيث يأمل فى أن يجذب الى صفوفه الممتلكات السابقة التى نالت الاستقلال الكامل وفى أول حديث له عقب أن أصبح رئيسا فى يونيه ١٩٥٨ ، تحدث ديجول فى الحاجة الى انشاء علاقات على اساس من التعاون مع مراكش وتونس ودولالهند الصينية وهى من بينالمشاكل العويصة التى تواجه فرنسا ٠

وقد تضمنت المادة ٨٨ من الدستور الفرنسى الجديد هذه الملاحظة بتمهيدها لاتفاقيات مع الدول التى ترغب الارتباط بهذا المجتمع بغية تنمية حضاراتها وتنطبق هذه المادة على كل دولة الا انها تعنى بصفة خاصة أن المحميات السابقة فى شمال افريقية والهند الصينية ٠

٢ ـ غينيا التى قبلت تحدى ديجولوصوتت الى جانب الاستقلال

٣ ـ ولايتى توجولاند والكميرون الواقعتين تحت الوصاية الفرنسية اذا ماأقرت الامم المتحدة استقلالهما ٠

واذا كانت المادة ٨٨ تعنى أكثر من مجرد أمل مرتجى فانه يعتمد الى حد كبير على الطريقة التى ينمو بها المجتمع الفرنسى ، وانه من السابق لأوانه ان تتنبأ بالصورة التى يكون عليها المجتمع الفرنسى الجديد ، ففى داخل المجتمع نجد وحدات تتمتع بكيانات مختلفة وهناك أولا انقسام رئيسى بين الجمهورية الفرنسية تتكون من :

١ ـ فرنسا الام بما فيها الجزائر ٠

٢ ـ المقاطعات عبر البحار مثل رينيون ٠ وجوادلوب ٠ ومارتنيك٠ وغانة الفرنسية ٠

٣ ـ الاراضى عبر البحار مثل الصومال الفرنسى وجزر كومورو وسنلت بيير وميكولون ، وكالدونيا الجديدة وبولويتزيا الفرنسية ، والدول الاعضاء الاخرى هى الجمهوريات الاثنى عشر الجديدة التالية جمهورية موريتانيا الاسلامية ٠ داهومى ٠ ساحل العاج ٠ السجر ٠ السنغال ٠ السودان الفرنسى ٠ جمهورية مولتا ، (وجميعها أراضى سابقة لغرب افريقية الفرنسى) وجابون ٠ وتشاد ٠ والكونغو ٠ والجمهورية الافريقية الوسطى (وجميعها أراضى سابقة لافريقيا الاستوائية الفرنسية) ومدغشقر ٠

وفى أعقاب الاستفتاء الذى أجرى فى ٢٨ سبتمبر ١٩٥٨ أعطيت الاراضى المختلفة عبر البحار الفرصة (بمقتضى المادة ٩١ فقرة ٢ من الدستور الجديد) لتختار فى غضون ستة أشهر الحق فى :

١ ـ ان تبقى كما هى ممتلكات عبر البحر ٠

٢ ـ أو أن تصبح ادارات عبر البحار وبذلك تصبح أكثر اندماجا بالجمهورية الفرنسية ٠

٣ - أو أن تصبح دولا أعضاء تتمتع بحكم ذاتي في داخل المجتمع الفرنسي ٠

وقد تم الاختيار بواسطة مجالس تلك البلاد المذكورة وهذهالمجالس كانت قد انتخبت طبقا لاحكام القانون الصادر في عام ١٩٥٦

ومع تعدد منظمات المجتمع الفرنسي لم يجتمع منها سوى المجلس التنفيذي حتى الان ، وهذا المجلس يتكون من رئيس الوزراء الفرنسي ورؤساء حكومات الدول الاعضاء والوزراء الفرنسيون المسئولون عن الشئون العامة في المجتمع وهذا المجلس يلعب دور تنظيم التعاون بين اعضاء المجتمع على المستويات الحكومية والادارية ولا زال كل من مجلس الشيوخ ومحكمة التحكيم في دور التنظيم ويتكون مجلس الشيوخ من مندوبين٠واحدلكل ثلاثمائة الف نسمة او مايقرب منها بحد أدنى قدره ثلاثة مقاعد لكل دولة وعلى هذا الاساس سيضم مجلس الشيوخ ٢٨٤ عضوا ٠ ويخص جمهورية فرنسا التي تضم (فرنسا الام والجزائر والادارات والاراضي عبر البحار) ١٨٦ر٠٠٠ مقعدا ، اما باقي الدول الاعضاء فيمثلها ٩٨ مندوبا ٠٠

ومن الواضح ان فرنسا تتبوأ مركزا رئيسيا غلابا في المجتمع ففرنسا تسيطر على الشئون الخارجية ، والدفاع والنقد والسياسة الاقتصادية الخارجية والعلاقات التجارية ، وكذلك السياسة الخاصة باستراتيجية المواد الخام ، وهذه السلطات غير مخولة الدول الاعضاء ومحتفظ بها للمجتمع ككل ، المجتمع الفرنسي بمعناه يعتبر منظمة «بالمعنى الفدرالي» كما سماها الجنرال ديجول ٠

ألا انه اتحاد فدرالي ، يتمتع فيه أحد وحداته بمركز العملاق بين الاقزام ، ولا زال السؤال باقيا ما اذا كان هذا الاتحاد الفدرالي بين شعوب تختلف في تراثها الثقافي وفي مراحل نموها المختلفة - يعمد ويقف على قدميه - هل المجتمع الفرنسي من المرونة بما يسمح له

بالتلاؤم مع الظروف المتغيرة خاصة بما تطلبه الدول الصغرى الاعضاء بصوت أقوى فى شئونها الخاصة وشئون المجتمع ككل ..

ويوجد دليل قوى فى صفوف الجمهوريات الافريقية الجديدة التى أصبحت حاليا دولا أعضاء تتمتع بحكم ذاتى فى المجتمع الفرنسى على أن وضعها القائم حاليا لن يرضيها لمدة طويلة ، فعلى سبيل المثال أوضح رئيس مجلس موريتانيا الاسلامية «مختار أولودادا» أن دولته ستنسحب من المجتمع أن عاجلا أوآجلا وتتجه نحو المشاركةالمنصوص عنها فى المادة ٨٨ ، على حين يعلن «هوفيت بواجى» لقد دخلناالمجتمع بقصد البقاء فيه لا الانسحاب منه .. يتخذ زعماء السنغال وداهومى نفس الموقف الذى يتخذه أولودادا .

ان سيكوتورى الذى قاد غينيا فى حملة التصويت بكلمة «لا» فى الاستفتاء والذى أصبح أول رئيس لها عقب الاستقلال تنبأ بأن فرنسا ستفقد عاجلا ممتلكاتها الافريقية لان الشعوب لن تتبع طويلا زعماءها الذين اختاروا البقاء مع فرنسا وقد مس سيكوتورى الوتر الحساس لمسألة مستقبل المجتمع الفرنسى ، ومدى تقبل شعوب الممتلكات الافريقية له ، وبمعنى آخر سيكون السؤال ماذا كان المجتمعالفرنسى يعتبر استجابة كافية للنزعة الوطنية فى أراضى فرنسا فى أفريقية لجنوب الصحراء الكبرى ؟ .. واذا أخذنا فى الاعتبار التطورات التى حدثت فى الاراضى الافريقية المجاورة . الكونغو البلجيكى ونيجيريا ونياسالاند . وتوجولاند . والكمرون وتنجانيقا فان الفرص ضئيلة أمام المجتمع الفرنسى بتشكيله الراهن لاتباع النزعة الوطنية الصاعدة المتزايدة . والشىء الاكثر احتمالا هو أن يتحول المجتمع الفرنسى من اتحاد فدرالى الى ولايات متحالفة تحالفا ضعيفا أو مجتمعا من الدول على غرار الكومنولث .

واحد العوامل المناوئة لنجاح المجتمع الفرنسى هو حرب الجزائر ،

فكلما طالبت الثورة فى الجزائر كلما اشتد تأثيرها على البلاد الاخرى فى أفريقيا يدفعها للتمرد ، وكلما أصبح الامر أكثر صعوبة على فرنسا فى الاحتفاظ بعلاقات عادية من مراكش وتونس او كسبهما ثانية كدولة مرتبطة بفرنسا ، غير أن المجتمع الفرنسى على حين يقدم أسلوبا جديدا بالنسبة للنظام الاستعمارى ألا انه لايتيح سوى القليل من الحلول للمسألة الجزائرية ، لان فرنسا تعتبر الجزائر جزءامن فرنسا الام وليست ولاية تابعة لها ، فديجول لم يعط الجزائر فرصة اختيار الاستقلال فى استفتاء سبتمبر مثلما منح الولايات الفرنسية التابعة للأخرى • وطالما تظل الجزائر فى وصفها القانونى الراهن فان النص الخاص بحق تقرير المصير الدائم الوارد فى المادة ٨٦ من الدستور لاينطبق عليها •

ومن الصعب القول ما اذا كان ديجول يعترف بحق الجزائر فى الاستقلال اذا كانت نتيجة الاستفتاء قد جاءت ضد الدستور ، واذا حللنا الموقف فى الجزائر حيث يجرى الجيش الفرنسى الانتخابات فانه من الصعب على المرء أن يتوقع مثل هذه النتيجة ، وفى الواضح أن ديجول قد قبل نتيجة الاستفتاء على أنه يربط بين الجزائر وفرنسا ارتباطا متبادلا وأبديا ، وهناك من الدلائل المتضمنة جميع تصريحات ديجول عن الجزائر أنه يعترف أن الجزائر ليست فرنسا وبالرغم من ضغط الجيش الاستعمارى الفرنسى فى الجزائر بالذات ضغط الجماعة التى عبدت الطريق لعودته للحكم فانه قدقاوم تبنى سياستهما الخاصة بالاندماج الكامل للجزائر مع فرنسا ، وبدلا من ذلك نجده يتحدث عن شخصية الجزائر وتماسكها الوثيق مع فرنسا الام واعطاء مسلمى الجزائر فرصا جديدة لحياة أفضل ، ومن الناحية التطبيقية نجد أن سياسة ديجول فى الجزائر ابتعدت إبتعادا كبيرا عن سياسة زعماء الجيش هناك عندما الغى نظام التصويت الانتخابى ذى المرحلتين واستبدل بالنظام الانتخابى من الدرجة الواحدة ، وقد بحث أسلافه

ديجول من رؤساء الوزارات فى العامين الاخيرين للجمهورية الرابعة دون جدوى تعديل النظم الانتخابى ذى المرحلتين ، الا انهم عجزوا عن اجراء ذلك أمام مواجهة المعارضة المستميتة من جانب زعماء الجيش ومؤيديهم فى الجمعية الوطنية الفرنسية ، ولم تكن كل تصريحات ديجول حول الجزائر تمثل الوضوح فى معناها مثل الاجراء الذى اتخذه عن نظام الانتخاب ذى المرحلة الواحدة ، وقد استخدم ديجول فيما يتعلق بمستقبل الجزائر مثلما استخدم فى المناسبات الاخرى لغة مبهمة غامضة ، ألا أنه أوضح فى جلاء انه لن يجرفه تيار المتطرفين فرنسيين كانوا ام مسلمين ، وفى ٢٣ اكتوبر عام ١٩٥٨ دعا زعماء الثورة الجزائرية للحضور الى باريس مع اعطائهم وعدا بالأمان لمناقشة وقف اطلاق النار وقال :

ان المستقبل السياسى للجزائر هو : الجزائر نفسها .. وهذا الطريق مفتوح فى الجزائر ، وقد تم الاستفتاء وفى نوفمبر ستجرى الانتخابات التشريعية وفى مارس ستجرى انتخابات المجالس البلدية وفى ابريل ستجرى الانتخابات لمجلس الشيوخ ، فماذا تكون النتيجة أن هذا احد أمور التطور السلمى .. أن الحل المنتظر سيبنى - لان هذه هى طبيعة الاشياء - على شخصية الجزائر الباسلة وعلى ارتباطها الوثيق الذى تكمله الصحراء الكبرى من أجل التقدم المشترك ، مع دولتى تونس ومراكش الحرتين .

انه من الخطر بطبيعة الحال أن تتكهن بالمغزى الكامل الدقيق لمعنى هذه الكلمات ، غير انه من الصعب تجنب استخلاص نتائج معينة منها ومن الدلائل الاخرى من تفكير ديجول عن الجزائر ، والجدير بالذكر أن ديجول يتحدث عن ارتباط الجزائر الوثيق مع فرنسا الام وليس عن الجزائر كجزء من فرنسا الام ، **وواضح من هذه الفكرة حقيقة ان التطور التدريجى الذى يتحدث عنه ديجول سيؤدى الى اتحاد**

فدرالى لشمال أفريقيا تلعب فيه الجزائر دورها لا كجزء من فرنسا الام بل كدولة لها كيان مستقل محدد • ويتحدث ديجـــول عن (الدولتين الحرتين) مراكش وتونس ويربطهما بالجزائر وفرنسا من اجل التقدم المشترك ، ولا يبدو من غير المعقول توقع ان الحلقــة الجزائرية فى هذه السلسلة ستكوندولة الجزائر الحرة ، ويبدوان هدا هو الاتجاه الذى تسير نحوه سياسة ديجول فيمـــا يختص بالجزائر •

ان ديجول يعتقد اعتقادا راسخا فى كفاية المجتمع الفرنسى والمادة ٨٨ من الدستور وما تتضمنه من النص على الدول المشتركة ، ستهيىء له السبيل لمثل هذه التسوية فى شمال افريقية ، فبتخفيف قبضتها على الجزائر تستطيع فرنسا أن تأمل فى المادة روابط أقوى علىأساس من المساواة مع مراكش وتونس ، وفى حالة قيام اتحاد شمالافريقيا الفدرالى المذكور وهو الحل الذى طالما نصح به زعماء مراكش وتونس وكذلك ديجول فانالاثر السىء للموقف فىالجزائر على الاراضىالاخرى فى المجتمع الفرنسى قد يزول •

التقشف ومالية الجمهورية الخامسة

بقلم الاراتومستوك أستاذة الاقتصاد السياسى

بكلية بروكلين

شددالجنرال ديجولقبضته علىمالية الجمهورية الخامسةفى نهاية عام ١٩٥٨ وذلك كجزء من برنامجه الخاص والتقشف من أجل فرنسا وفى ٢٩ ديسمبر انخفض سعر الفرنك بنسبة ١٤٫٩ ٠/٠ فأصبح الدولارالامريكى يساوى ٤٩٣٫٧فرنكا بدلامن ٤٢٠فرنكا ، والفرنك الفرنسي يشبه الرجل الدائم المرض فى مبدأ العملات فى غرب أوروبا ومنذ أقل من خمسين عاما مضت كان الدولار الامريكى يساوىخمسة فرنكات فرنسية ، وفى غمار نكبات الحروب والفرقة وسوء الادارة المالية انتابت الفرنك الفرنسى هزات انخفاضـــــية فأصبح الدولار الامريكى عقب نهاية الحرب العالمية الثانية يساوى ١١٩ فرنكا ، ثم توالى انخفاضه حتى أصبح الدولار يساوى ٤٢٠ فرنكا ثم هبط سعره ثانية فى ديسمبر ١٩٥٨ ٠

وقد يبدو من خطل الرأى محاولة تدعيم الوحدة النقدية عديمـــة القيمة فى الغالب بمواصلة اضعاف قيمتها ، أكثر فاكثر ، وبالرغم من هذا ففى ظل حكم الجنرال ديجول صحب الانخفاض عـــدد من الاصلاحات المـــالية التى تستهدف فى تثبيت السعر الجـــديد ، وكذلك الخطط التى ترمى الى تدعيم الاقتصاد ككل، والجنرال ديجول عظيم الثقة فى تحقيق هذا الهدف حتى انه وعد بفرنك جديد قبـــل نهاية عام ١٩٥٩ ، فرنكا راسخا يساوى فى قيمته مائة فرنك من الفرنكات الحالية وسيساوى فى التبادل مع العملة الامريكية مايقرب من خمسة لكل دولار ٠

وكان المتوقع أن يؤدى الخفض فى سعر الفرنك الى زيادة صادرات

فرنسا عن طريق الوصول بأسعار المنتجات الفرنسية الى مستوى منافساتها فى الاسواق الاجنبية ، وهذا يعنى الوصول بالدولار .. والجنيه والمارك وبقية العملات الى زيادة سعرها بالفرنك ، ومن ثم تشترى البضائع الفرنسية بدرجة اكبر ، وهناك مزيةأخرى للاقتصاد الفرنسى تتحقق من الجانب المقابل ألا وهى الحد من استيراد غير الضروريات التى تعتبر حاليا باهظة الثمن بالنسبة للمشترى الفرنسى

تقوية الميزانية :

ان اقرار السعر الجديد للفرنك كان الخطوة الاولى فقط ،والجنرال ديجول ووزير ماليته «انطوان بينيه» كان يعتقد أنه اذا أدت زيادة الاسعار المتوقعة الى مجرد احداث تضخم جديد ، فان الجولة تكون خاسرة ، فزيادة التضخم النقدى أمر محتوم مالم يخفض العجز فى الميزانية الخاصة لعام ١٩٥٩وقدره ١٢٠٠بليون فرنك ، وهوضعف ماكان يمكن للدولةأن تقترضه، ولقد أعلنا للشعبأن خفض المصروفات ليس أمرا يسيرا ، فالمصروفات الاجتماعية الخاصة بالاسكانوالمدارس والمستشفيات وما شابه ذلك يجب الابقاء عليها او زيادتها ، وكذلك الحال بالنسبة للاكثار من المصروفات فىالحقل الاقتصادى وتشمل مخصصات القوى المحركة والمعدات الصناعية والمواصلات . ويجب أن يتسرب المال الى الاقتصاد الامريكى كما أن مصروفات الدولةالعادية يجب أن تستمر .

واذن فليس هناك غير ابواب قليلة للاقتصاد فى النفقات ، وقد ألغيت اعانات كثيرة خاصة بالطعام ، فالصناعات المؤممة وتشمل السكك الحديدية ومناجم الفحم والغاز والكهرباء حرمت من اعاناتها الا أنه سمح لها برفع الاجور ، ومثل هذه الاجراءات ستدعمه الميزانية بصورة عملية غير انها ستؤدى الى احداث زيادة فىالتضخم بالنسبة للاسعار ، ومن ناحية عامة بلغت المصروفاتالمقدرة لعام١٩٥٩

مبلغ ٦٢٠٠ بليون فرنك وهو رقم أعلى بكثير من نظيره فى عام١٩٥٨
وقد أمكن لحسن الحظ أن تتوفر للميزانية زيادة فى الايراد لعام ١٩٥٩ وقد كانت الحكومة على ثقة من زيادة الدخل الضرائبى نتيجة الاسعار الاكثر ارتفاعا والانتعاش المتزايد ، الا انها اتخذت الحيطة لزيادة ضرائب الدخل على الافراد والهيئات وضرائب رؤوس الاموال المستثمرة ، وفى النهاية بلغ العجز المقدر فى الميزانية ٥٨٧ بليون فرنك وهو مبلغ أقل بقليل من العجز فى ميزانية ١٩٥٨ الذى وصل الى ٦٠٠ مليون .

الحرب على الاسعار المرتفعة :

ان مشكلة الاسعار المرتفعة تعتبر اكثر المشكلات الطارئة المحفوفة بالاشواك فاذا لم يتيسر الحد من الاتجاه الى الارتفاع بالنسبة للاسعار فان الخفض الجديد محتوم فى نهايته بكارثة كما حدث بالنسبة للتخفيضات السابقة ، وبالنسبة لتقدير الحكومة فان الزيادة فى تكاليف المعيشة يجب ابقاءها دون نسبة ٨ ٠/٠ اذا أريد للخطة بأسرها أن تثبت فاعليتها .

والعوامل الدافعة نحو زيادة الاسعار ، عوامل هائلة ، فهبوط القيمة الاسمية للفرنك كان العامل الاول ، وقبيل نهاية شهر يناير قامت الصناعات المؤممة بعد حرمانها من اعانتها برفع الاسعار والاجور للمواصلات ، **فبلغ الارتفاع فى اسعار الصلب من ٨ الى ١٠ ٠/٠ وفى أجور السكك الحديدية ١٠ ٠/٠ وفى الغاز والكهرباء من ٥ر٤ الى ٦ر٥ ٠/٠ وفى السجاير والتبغ من ١٥ الى ٢٠ ٠/٠ أما اللحوم التى تتبع دورة موسمية اكثر منها دورة مالية ، فقد كانت أغلى سعرا .**

وقد تحققت الحكومة منذ البداية ان من واجبها توفير الرعاية بالنسبة للطبقات الفقيرة حتى أبان اتخاذها كل الخطوات الممكنة لتثبيت الاسعار فحصل العدد القليل من العمال الذين يحصلون على

الحد الادنى للاجور على زيادة قدرها ٤ر٥ ٠/٠ أما الموظفون العموميون فقد منحوا علاوة توازى ٤ ٠/٠ أما معاشات الشيخوخة فقد زيدت بنسبة طفيفة .

وقد كانت أكثر الخطوات الهامة المؤدية للاستقرار الغاء جداول الاجور ، ويعنى هذا الغاء البنود الخاصة بزيادة الاجور فى عقود العمال الجماعى ، وتشمل العمال الذين يحصلون على أجر يزيد على الحد الادنى ، ففي ظل بنود زيادات الاجور كانت الاجور تزداد طبقا للجداول الرسمية الخاصة بتكاليف المعيشة ، وكان من النتائج المسلم بها ان كثيرا من العمال يعتقدون ان العبء الاكبر من برنامج التقشف يقع على كاهل طبقتهم ، وقد استقال الوزيران الاشتراكيان (موليه) و (توماس) فور قرارات ديسمبر .

وقد أذاع الجنرال ديجول فى بيانه يوم ٢٨ من ديسمبر عام ١٩٥٨ أن هذه اجراءات قاسية تطلبتها الضرورة القصوى ولكنه يعتبرها ماسة ، وهو على ثقة ان كل فرد سيشعر فى المدى البعيد بفائدة الاستقرار المنتظر تحقيقه ، ثم واصل قوله بأنه اذا لم تفلح هذه الجهود لوضع الامور فى نصابها ثانية واذا لم تتم بالتضحيات التى تتطلبها وبالآمال المعقودة عليها ، فان فرنسا تظل دولة مكبلة بالقيود تتأرجح باستمرار بين الكوارث والتيه ، واذا وافقت على العكس فى حالتين وهما التأرجح باستمرار بين الكوارث والانعاش الاقتصادى فيالهما من خطوة فى الطريق الذى يقودها نحو القمة .

فرنسا والسوق المشتركة :

تامل فرنسا فى الحصول على انعاشات سياسية واقتصادية من العمليات التى تقوم بها الدول الست فى السوق المشتركة ، تلك السوق التى بدأت وجودها الفعلى فى اول يناير ١٩٥٩ وقد استغرق

انشاء السوق المشتركة وقتا طويلا على حين كانت فرنسا دائما قوة سياسية واقتصادية هامة وعميلا دافعا للتقدم ، وفى أحيان أخرى كانت شريكا أنانيا صعبا ، وتمتد جذور السوق المشتركة الى حلف البنلكس واتحاد جمارك البلجيك والاراضى الواطئة ولكسمبرج الذى طبق فى أول يناير ١٩٤٨ ، كما يمتد الى المجتمع الاوروبى للفحم والصلب الذى اقترحه وزير الخارجية الفرنسى روبير شومان فى ٩ مايو ١٩٥٠ ، ويمتد كذلك فى الاعداد الذى قامت به الدول الست المشتركة وألمانيا وايطاليا وبلجيكا والاراضى الواطئة ولكسمبرج منذ عام ١٩٥٣ ·

وقد بدأت الدول الست اعمال اللجان التحضيرية حول سوق مشتركة فى عام ١٩٥٥ ، وقد تمت المشروعات الخاصة بوحدةجمركية (المجتمع الاقتصادى الاوروبى) والمجتمع الخاص فى شئون الذرة فى عام ١٩٥٦ وقد خولت معاهدات روما فى ٢٥ مارس ١٩٥٧ السلطة لهذين المجتمعين وتم انشاء المنظمات الجديدة فى اول يناير ١٩٥٨ والامتيازات التجارية المحدودة اللازمة للسوق المشتركة ·

وقد أدت تفصيلات المناقشات الطويلة الى عدد قليل من رؤوس الموضوعات فى البداية ، الا أن بريطانيا كانت تعمل منذ عام ١٩٥٦ من أجل انشاء منطقة تجارية تكميلية حرة تهيىء للدول الاحد عشر الاخرى التى تتكون منها منظمة التعاون الاقتصادى الاوروبى بعامة والدول الست الكبرى الاكثر اهتماماوفى بريطانيا والنمساوسويسرا والدول السكندنافية بعض المزايا المترتبةعلى تقليل الحواجزالتجارية بخاصة ، ووجدت بريطانيا أن فرنسا أكثر الدول صلابة فى التعامل وقد وصل التوتر بين الدولتين منتهاهفىالجزء الاخير فى عام١٩٥٨ حتى احتلت انباء الخلاف أنباء الخلاف الصفحات الاولى من الجرائد

وتبدو مزايا السوق المشتركة براقة فى الوقت الراهن بالنسبة

لفرنسا والدول الخمس الاخرى ، فتنص المعاهدة على أن تلك الدول الست التى يبلغ تعداد سكانها ١٦٥ مليون نسمة على الغاء تدريجى لجميع الرسوم الجمركية وقيود الاستيراد وغير ذلك من القيـــود التجارية بينها ، وتنص ايضا على توحيد التعريفة الجمركية بالنسبة لبضائع بقية العالم . وهذا يعنى أن على فرنسا التى تعرض تعريفة جمركية مرتفعة وايطاليا المثل أن تخفضا من مستواها ، وان على ألمانيا الغربية أن تجرى تغييرا طفيفا ، وعلى الدول ذات التعريفة الجمركية المنخفضة وهى بلجيكا والاراضى الواطئة ولكسمبرج أن ترفع تعريفاتها الجمركية بالنسبة للبضائع الواردة من خارج الاتحاد الجمركى وكان اقتراح بريطانيا الخاص بانشاء منطقة تجارية حرة تمتد اليها بعض امتيازات السوق الاوروبية المشتركة اقتراحا منطقيا بالنسبة لتشابك التجارة الاوروبية .

وقد رفعت حصص البضائع المستوردة وذلك بمعرفة الســـوق المشتركة فى اول يناير ١٩٥٩ وقبيل هذا عملت بريطانيا على أن تمتد الحصص الكبيرة لبضائع الدول الاعضاء الى جميع الدول الاعضاء فى منطقة التجارة الحرة المقترحة ، ويخضع ٣/١ الصادرات الصناعية البريطانية لفرنسا لنظام الحصص .

ويعنى الجدول الجديد ان الواردات المرخص بها من ســـيارات السوق المشتركة الى فرنســـا ستضاعف ثلاث مرات بينما تظل واردات فرنسا من السيارات البريطانية قريبة من مستواها السابق .

وقـد رفضت فرنســا اقتراح الحصص كما بدا منذ مناهضة فرنســا لمنطقــة التجارة الحرة فى مذكرتها المقدمة للدول الاعضاء الاخرى المشتركة فى السوق المشتركة فى مارس ١٩٥٨ .

وقد تأرجحت الاتجـاهات الفرنســية بالنسبة للنقاط المحددة المرتبطة بمنطقة التجارة الحرة خلال المنافسة المريرة مع بريطانيا فى

الشهور القليلـة التالية ، وقد أوضحت الحكومة الفرنســية بجفاء فى اوائل نوفمبر انها لن تتزحزح عن موقفهــا • وفى ١٥ نوفمبر قطع الجانب البريطانى المباحثات حول هذا الموضوع ، وقد اقتنعت بريطانيا بأن فرنسا كانت تعارض بعضا من الدول الاخرى الاعضاء فى السوق المشتركة بماتعرضه من حمايات تجارية عالية •

وقد عمدت فرنسا الى حد ما للتوفيق بين الحماية التجارية العالية وبين رغبتها المؤكدة للصداقة والجبهة المشتركة مع المانيا وكان هذا ارضاء لفرنسا ومصدر حيره بالنسبة للمراقبين ، فمن الواضح أنه يمكن التضحية بالقيود التجارية من أجل الصداقة الفرنسية الالمانية وليس لاســباب اخرى الا أن البريطانيين ذوى العقلية التجارية لم يتمكنوا من هضم هذه الفكرة بسرعة •

وفى الحقيقة بدت الخلافات فى العوائد الثقافية بين البريطانيين والفرنسيين واضحة جلية فى الاسـابيع التى أعقبت فشل المباحثات حول المنطقة التجارية وقد اتهم البريطانيون انفسهم بالبساطة فى تركيز اهتمامهم حول الموضوعات التجاريــة وتجاهلهم الموضوعات السياسية ، وبأنهم باختصار أمة قوامها « أصحاب المحلات التجارية » واتهم الفرنســيون البريطانيين بالتآمر ضد الصداقــة الفرنسيه الالمانية والوحدة الاوروبية بل وحتى بالتواطؤ مع روســيا لتخريب السوق المشتركة ـ اذا سلمنا بما عبرت عنه الرسوم الكاريكاتورية فى الصحف الفرنسية من غمزات

عبر فى الماضى

ويحتوى تاريخ فرنســا المثبط على دروس تلائم البرنامج الحاضر اذا امكن توافر اناس فى حاجة قصوى الى تعلمها وبخاصة منذ نهاية الحرب العالمية الثانيــة حققت الجهود البارزة والنتائج التى يعتد بها رقما قياسيا فى ميدان التجديد والتجهيز ذلك الميدان الذى احاق

به التخلف مرارا نتيجة للادارة السيئة التى تتلخص فى الاسراف وزيادة الاقتراض والنظام الضرائبى السيئ وسوء جباية الضرائب وبصفة عامة سوء الادارة المالية والمركزية ٠

وكان مشروع « موتيه » لعام ١٩٤٦ والذي سمي باسم واضعه الشهير «جين‌موتيه» مرشدا لاعادةانعاش الاقتصاد الفرنسيوتوجيه معونات الدولة ، واستمر التضخم وفقد الاقتصـــاد الفرنسى ارضه ، وفى العامين الاولين اللذين اعقبا نهاية الحرب قامت فرنســا بتأميم الصناعات الرئيسية (الفحم والغاز والبترول والكهرباء والكيماويات وعديد غيرها مما يقرب من ٢٠٪ من الطاقة الصناعية للدولة) لاسباب سياسية اكثر منها اقتصـــادية ، وقد زادت التـكاليف والعوائد فى تلك الصناعات ولم يكن الشعب الفرنسى بصفة عامة مهيأ للتقشف الذى مارسه الشعب البريطانى عقب الحرب ٠ فقد اجهدتهم الصعاب وكانو يطالبون حكومتهم بتوفير الخدمات والسلع٠ وقدتمكنت طبقات مختلفة ومن بينها المزارعين على وجه أخص فى انتهاج سبيل الاثراء باستغلال فرص التضخم الصــاعد ، وكانت القاعدة هى العجز فى الميزانيةواقتراض الدولة لمواجهة الفروق بين الايرادات والمصروفات ٠ وقد عاونت مخصصات مشروع مارشال لفرنسا على تجديد الصناعة والزراعة الا أنها كانت قليلــة الاثر على الادارة المالية ، وقبيل عام ١٩٤٩ سرى تيار رجعى بين الحكومات التى تعاقبت بسرعة الواحدة تلو الاخرى ٠ وقد تمكن هذا التيار من الحد من التضخم ٠

وعند هذه المرحلة كان القدر لفرنسا بالمرصاد ٠ فان الجهـد الكورى فى عام ١٩٥٠ تطلب الكثير من المواد الخـام فيما ادى الى ارتفاع الاسعار الفرنسية نتيجة تخزين امريكا لبضائعها ، وارتفعت المصروفات العامة من ٢٤٢٢ مليون فرنك فى عام ١٩٥٠ الى ٣٧٢٠ بليون فرنك فى عام ١٩٥٣ والنتيجة للمرة الثانية كانت (اصرف ــ اقترض ــ اطبع) ٠

وقد أوضح الجنرال ديجول الاجراءات التى تسير بالدولة نحو التقشف بقصد انقاص العجز فى الميزانية لتجنب التضخم القاتل لفرنسا المتداعية وزيادة الضرائب والغاء الاعانات والارتفاع التدريجى فى الاجور والمعاشات التى تدفع للقادرين ، ثم الفرنك المتوازن فى نهاية عام ١٩٥٩ « لاننا نريد الفرنك الفرنسى القديم الذى قوضته نكباتنا ومادة تقاس بالاحترام الواجب لها » ..

ولكن كانت الفضائح أمرا محتوما ، فقد تسربت أنباء خفض سعر الفرنك وجنى العارفون بهذا النبأ ارباحا طائلة ، كما أن زيادة الحصص طبقا لقواعد السوق المشتركة قد أضرت بكثير من الانتهازيين والمنتجين المحليين غير الاكفاء ، ولا بد أن منديس فرانس يذكر أنواع الضغط الذى تعرض له فى عام ١٩٥٤ والخفض المتعاقب للفرنك لم ينقذ فرنسا كما أن ثلاثا من مشروعات الانعاش لم تتمكن من انقاذ فرنسا ..

العمل والادارة فى ظل نظام ديجول

بقلم : فال لوروين استاذ التاريخ بجامعة اوريجون

تتلازم كلمتا « العمل والصناعة » فى نظر الامريكيين ويرجع هذا الى ميدان المعتقدات والاهداف الذى تعمل فيه الادارة والاتحادات بل وتتصارع فى بعض الاحيان •

أما بالنسبة للفرنسيين فان كلمتى (الادارة والعمل) تحملان فى طياتهما بذور سوء الفهم والعدادات المتوازنة لاجيال من الصراع السياسى والاجتماعى والادارة تخشى بطبيعة الحال التطرف العمالى ولم تتعلم بعد كيف تشجع الاتحادات البنائية باشتراكها على قدم المساواة فى اتخاذ قرارات حول مصالح العمال ، والعمال على بينة بالنقائص الاجتماعية والاقتصادية ، وهم ينفرون من المفاهيم الاستبداديةفى الادارة المتمثلة فى الكثير من رؤساء الصناعة ، ويتشبثون برجعة النظام الابوى كبديل للمساومة الجماعية ، وحقيقة القول ان كل التحسينات فى تاريخ العلاقات العمالية فى فرنسا قد جاءت نتيجة أجراءات حكومية ولم تأت ثمرة للتعاقد ••

ويعكس بنيان الاتحادات العمالية تشققات رئيسية فى المجتمع الفرنسى ، لقد سيطر الشيوعيون منذ الحرب على أكبر وأقدم المنظمات العمالية ألا وهو الاتحاد العام للعمال ، أما الاشتراكيون فانهم أقوى أثرا فى اتحاد القوى العمالية ، وكما هى الحال فى كثير من دول القارة توجد أيضا جماعة كاثوليكية هى «الاتحاد العام الفرنسى للعمال الكاثوليك » وهناك منظمة رابعة هى الاتحاد الفرنسى للموظفين وهو الاتحادالرئيسى لرؤساءالعمل والفنيين والباعةوافراد مختلفاجهزة الاشراف والادارة ••

وقد استخدم الشيوعيون سيطرتهم على منظمة الاتحاد العام للعمال

واستغلوا الآلام المشروعة للعمال في الفترة العصيبة لاعادة البنـــاء، وذلك لمناهضة مشروع مارشال عن طريق اضراب عام ذى طابع ثورى تمردى فى عام ١٩٤٧ ، وقد تم انقاذ فرنسا من الوقوع في مصير مماثل لما حدث لتشيكوسلوفاكيا نتيجة الاجراءات الفعالة التي أقدمت عليها كل من الحكومة والمعارضة التى أبداها غير الشيوعيين فى الاتحادات العمالية الاخرى ضد الاضراب وبالرغم من الخسارة المادية المستمرة التى نجمت عن الاستخدام السياسى من جانب الشيوعيين للاتحاد العام للعمال فانه لا يزال أقوى الاتحادات ، ولم يكن فى مقدور اتحاد القوة العمالية أن يتخطى عضويته التى بدأ بها ، ولو أن مجرد وجوده يعتبر تحديا لقادة الاتحاد العام للعمال ، أخذت الاتحـــادات الكاثوليكية تنمو فى صلابة وبطء وتعتبر تالية للاتحاد العام للعمال .. ذلك لان هناك اتجاه قوى تقليدى فى صفوف العمال لمناهضـــة العمالية الدينية ، وبالرغم من ذلك فان غالبية العمال لا تنتمى لاى اتحاد كما ان الاتحادات لا تتخذ اجراءات لفرض العضوية مثـــل « المتجر المغلق » او لصوص التأمين العمالية التى تدعم العضوية .

ان الاتحادات العمالية الفرنسية ضعيفة فى بنيانها وفى أداء التزاماتها وفى اعتمادات الاضراب وفى النظام ، وقد استقبل الجنرال ديجول منذ عام جماعة تمثل الاتحاد العام للعمال الكاثوليك في مقابلة خاصة ، وعندما سألهم عن عدد الاعضاء فى الاتحاد ترددوا فى ارتباك قبل الإجابة ، ان الاستفسار عن أرقام العضوية في فرنسا لا يعتبر تقليدا مناسبا او ادراكا معقولا ، ذلك لان عضوية الاتحادات مفهوم غامض مفكك ، ولا توجد ارقام تكشف عن عدد الاعضـاء المسددين للاشتراكات كما لا يفهم بسهولة للأرقام أى معنى ..

غير أن ثقل الاتحادات العمالية وميزان نفوذها قد يكون ذا أثر سياسى فعال واحيانا اخرى حقيقة اقتصادية عامة . ففى مجتمع ديمقراطى حديث لا يكون فى وسع السلطات العامة واصحاب الاعمال

الاستغناء عن بعض التحليل لافكار مصالح العمال . واتحادات أولئك المنظمين يجب أن تمثل العمال فى كثير من المنظمات الاجتماعيـــة والاقتصادية فى الحياة القومية ولو بصورة غير سلمية .

وقد أفسح تشريع ما بعد الحرب مجالا كبيرا للممثلين المعترف بهم للعمال التظاميين وقد استمر هذا الاقرار فى فترة تختلف فى جوهرها اختلافا كليا ، وليس فى مقدور أية حكومة منتخبة انتخابا حرا أن تخاطر بالغاء المكاسب التشريعية التى حققها العمال .

وبالرغم من ضعف ووهن الاتحادات العمالية فان بعض المديرين بعيدى النظر فى كل من الصناعات الحكومية والحرة أخذوا يحاولون التغلب على مخلفات العداوة الطبقية لكل من الجانبين ، وقد وجدوا أن عددا من ممثلى الاتحادات غير الشيوعية على استعداد لمقابلتهم فى منتصف الطريق .

المساواة الجماعية :

ان شركة رينو للسيارات التى تعتبر ناجحة للغاية كان لهـــا سبق القدم فى المساواة الجماعية فى القطاع العام ، وفى ميـدان الصناعة الحرة جاءت القفزة الوثابة من جانب المؤسسة القوميـــة لصناعة النسيج بالرغم من مركزها المزعزع فى أزمة النسيج العمالية، وأعلن المجلس القـــومى لأصحاب العمل الفرنسيين اســتياءه من استعداد أصحاب العمل لصناعة النسيج للتقارب مع الاتحـــادات العمالية .

غير أنه عند نهاية عام ١٩٥٨ تفاوض المجلس القومى لاصحـاب العمل الفرنسى مع الاتحادات غير الشيوعية حول اتفاق هام لمزايا تكميلية للمتعطلين لتغطية المبالغ الهزيلة والاعانات الرمزية الحكومية التى تدفع للمتعطلين .

ان المساواة وحدها لا تستطيع أن تسد الثغرة القائمة بين الإدارة والعمل فهذه الثغرة تنجم عن صراع سياسي واجتماعي عميق خارج القطاع نفسه ، الا انها ترجع جزئيا الى تشاؤم العمـــال من قدرة الإدارة ، وهو تشاؤم يشاركهم فيه أصحاب الصناعات أنفسهم .

ان مشروعات التعمير فى فرنسا فيما بعد الحرب كانت سريعة فقبل عام ١٩٤٩ استطاعت الصناعة الفرنسية والعمال وبالعـــون الامريكى أن يعودوا بالاقتصاد الى مستوى ما قبل الحرب ، الا أن الامر كان اكثر من مجرد معالجة ما احدثته الحرب من دمار . لانه كما قالت لجنة مشروع « موليه » (على فرنسا أن تدير ظهرها للخراب والتدهور ، وعلى الدولة أيضـا أن تبنى لأجيال من التقدم البطىء ، لان فرنسا قد تخلفت فى ميدان التقدم الاقتصادى ليس فقط بالنسبة لالمانيا والولايات المتحدة بل وبالنسبة لست دول أوروبية أصغـــر منها) ..

لقد تمكنت فروع كثيرة للصناعة ومعظم الزراعة لاكثر من نصف قرن من تجنب المنافسة غير المواتية وذلك بالتستر وراء حواجـــز التعريفة الجمركية ونظام الحصص وفى ظل المعونات الحكوميـــة والاسواق التى يحكمها الاحتكار ، وكان المخترعون مهرة كما بذل العمال جهدهم ، الا أن معظم الصناعات أتجهت لانتاج سلع الطبقة المتميزة ، وتجاهلت أسواق الجماهير القادرة .

معجزة صناعية :

ولقد خاضت فرنسا أعظم فترة للتقدم الصناعى منذ قرن تقريبا فى سنة ١٩٥٠ وما بعدها ، ودخلت الاساليب الحديثة صناعة الصلب واتسع نطاقها ، وانتعش انتاج الفحم بصورة أفضل منها فى أية دولة أوروبية أخرى . فالسكك الحديدية وهى مؤممة كمعظم نظيراتها فى

أوروبا استحدثت فيها الاساليب الحديثة وكهربت وأصبحت الآن على درجة من الكفاية كأية من نظيراتها فى أى مكان ، وارتفع انتاج الغاز والكهرباء ، وارتفع كذلك انتاج المعامل الكيميائية ومعامل تكرير البترول ، والتعدين الكهربائى ، والكيميائيات الكهربية ، والسيارات والآلات .. الزراعية ، والسلع المنزلية الدائمة .

دفى السنوات مابين سنة ١٩٥٢ ، سنة ١٩٥٨ زاد الانتـــاج الصناعى بوجه عام أكثر من ٥٠٪ ، وفى نهاية الحقبة تضاعف الانتاج وقد كان هذا معدل تقدم مماثل للمعجزة التى حدثت فى ألمانيـــا الغربية وأكثر سرعة من الولايات المتحدة وبريطانيا خلال تلك الفترة وبالطبع فان الفرنسيين قد فاتهم وقت أطول للبناء أكثر مما فعلنا (يقصد الامريكيين) فضلا عن تعرضهم للحروب وسفك الدماء طيلة عامين ، وهذا التقدم الصناعى من أكبر المحققات التى ورثتها الجمهورية الخامسة وقد مرت هذه الظاهرة مرورا عابرا فى نظر الكثيرين من الفرنسيين ومعظم المراقبين الاجانب وذلك تحت وطأة ارتفاع الاسعار وسقوط الوزارات خلال هذه الاعوام .. وقد يذهل الجامدون فكريا من ضآلة تأثير العلاقات العمالية الضعيفة ونقص الوفاق الاجتماعى على الانتاج ، والعلاقات الانسانية الطيبة والصناعية الطيبة أيضا (وهما غير متشابهين تماما) يعدان قيما هامة فى حد ذاتهما ، الا أنه حتى فى حالة الاستغناء عنهما ففى الامكان الحصول على انتاج عال وهكذا كانت الحال فى فرنسا فى الاعوام من ١٩٥٠ وما بعدها .

أن الزيادة فى انتاج الغسالات والثلاجات وأجهـــزة الراديو والتليفزيون والدراجات والسيارات بدأت فى أحداث تغييرات تعتبر واضحة فى أسلوب الحياة للكثيرين من الفرنسيين والفرنسيـــات ، وبخاصة صفوف الطبقة العاملة .. وكالعادة منذ أيام «ارنست رينان» فى الاعوام ١٨٧٠ وما بعدها فان بعضا من كبار المفكرين الفرنسيين وبعضا من صغارهم ، بدأوا ينعون صبغ الحياة الفرنسية بالصبغة

الامريكية • الا أنه لم يتح الوقت الكافى بعد أمام هذا التغيير فى أسلوب الحياة لكى ينعكس على الاتجاهات السياسية أو العلاقات الصناعية •

وهناك نقيضان هامان هما التوزيع والبناء وكلاهما عوقا الطفرة الاقتصادية ولا زالتا تنخران عظام الجمهورية الخامسة ، وكانت عدم الكفاية الملموسة فى نظام البيع بالتجزئة ، أكبر معوق للاقتصاد الفرنسى • وكان الضغط على بعض صغار باعة التجزئة الذين تمتعوا بحماية أكثر من اللازم مصدر الظاهرة السياسية الغريبة المسماة بالحركة البورجوازية التى تلاشت كحزب سياسى بيد انها لازالت ماثلة فى الاذهان •

وفيما يتعلق بالاسكان فان فرنسا متخلفة بجيل من الزمان تحتاج الى تعويضه ، حيث أن الرقابة الجامدة للغاية على الايجارات وكذلك الكساد الاقتصادى قدتسببا فى تعويق البناء عقب عام ١٩٣٠ ، وفى أعقاب الحرب قامت فرنسا ببناء المسكن بخطى وئيدة وبتكاليف أعلى من غيرها فى معظم دول أوروبا الغربية ليس فقط غرب ألمانيا والاراضى الواطئة والسويد وبريطانيا بل وحتى ايطاليا ، وفى نفس الوقت ارتفع معدل المواليد فجأة بعد قرن من التمهل وظل المعدل عاليا منذ نهاية الحرب ، وهذه احدى ظواهر الحيوية فى شعب من الشعوب ، وتمكن الزحام والمساكن القديمة من تهديد الصحة والحياة العائلية بالنسبة لمئات الآلاف من الاسر والمعمرين ، وهى احدى المنبهات الدائمة للظلم الاجتماعى •

التماسك الاوروبى :

وقد انضمت الصناعة الفرنسية الى المجتمع الاوروبى للفحم والصلب (مشروع شومان) السوق المشتركة المتحررة من التعريفة أو التمييز فى الاسعار فيما يختص بالفحم والحديد والصلب لدول

البينولكس وايطاليا والمانيا الغربية وفرنسا ، وبالرغم من المخاوف التي جعلت بعض أصحاب الصناعات الاقوياء والشركات التجارية يعارضون اقرار مشروع شومان ، فان الصناعات الفرنسية خاضت تجربة المنافسة الجديدة حتى الآن ٠

ان الجمهورية الخامسة قد ورثت التجارب العريضة للسوق الاوروبية المشتركة ، ففي هذه السوق (وهي تخطو بمقتضى معاهدتها خطوة خطوة) فان الست دول المشتركة في مشروع شومان تيسر التبادل الحر للسلع ورأس المال والافراد عبر حدود اوروبا الصغيرة

وديجول رغم ايمانه بالتماسك الاوروبي ، قد احترم التزامات سابقيه تجاه السوق الاوروبية المشتركة ، وبعد قليل من التردد عمد الفرنسيون لازالة كثير من الحصص على الواردات من الدول الاخرى المشتركة في منطقة التعاون الاقتصادي الاوروبي ٠

ان الشركات التقدمية قد رحبت بالخطوات الجديدة باعتبارها تفتح اسواقا جديدة امامهم ، اما في بعض القطاعات الاقل تقدما وانتشارا فلا يرى اصحاب العمل والعمال سوى اخطار تأتي بها رياح المنافسة الدولية التي لم يسبق السماح لها بالهبوب على فرنسا من قبل ، فاخذوا يعملون على ايجاد نصوص تهريبية وأشكال متخفية أخرى للحماية ، وبالرغم من القرارات الدولية الخاصة بالعمال فقد عارضت سلطات العمال في فرنسا هجرة العمال الايطاليين الى فرنسا حتى بالرغم من عدم وجود بطالة في فرنسا منذ نهاية الحرب ٠

الحق والعنف :

وقد استهلت الجمهورية الخامسة حياتهـا بسلسلة من القرارات الاقتصادية والمالية والاجتماعية التي اصدرها ديجول لسلطاته كرئيس للوزراء ٠ لقد كان الحق والعنف هما شعار الحكومة الجديدة

والمقصود بالحق ، ان الامة كانت تعيش منذ سنوات على اكثر مما تحتمله امكانياتها ، وان عليها الآن ان تكف عن طلب العون من اصدقائها بالخارج ، وان تعدل طريقة عيشها بحيث تفي بالتزامات سياستها الوطنية .

أما العنف ، فقد وقع أكبر عبئه على عاتق الأسر ذات الدخل المنخفض في بلاد اشتهر نظامها الضرائبي بالضعف والاعتماد على الضرائب غير المباشرة ، وقد تطلب برنامج التقشف تضحيات لا بد منها من ذوي الدخل البسيط ، وكان ذلك بداية سيئة للجمهورية الخامسة اذ أذكى بين العمال الشعور القديم بالظلم .

لقد ألغت الحكومة الاعانات الخاصة بمواد أسعار المعيشة مثل الخبز واللبن وأجور السكك الحديدية والغاز والكهرباء وغير ذلك ، ورفعت ضريبة الانتاج على السجاير ومنتجات التبغ وسلع أخرى ، فارتفعت الاجور وقطعت اعانات الضمان الاجتماعي ، وظهرت بعض هذه الاجراءات بمظهر القسوة كقطع الاعانات التي تصرف للامهات العاملات الحوامل في الثلاث اشهر الاخيرة من شهور الحمل .

وأمسكت الحكومة يدها عن كثير من غلاوات الاجور التي وعدت بهما عمالها انفسهم ، كما انها لا تشجع زيادة الاجور في الخدمة الخاصة ، ولم تغير من النظام الآلي لمستوى الاجور في البلاد (وهي ٣٢ سنتا للساعة) ولكنها ألغت بنود النظام الآلي لمستوى المعيشة في الاتفاقات الجماعية ، ومثل هذه البنود قد ينتج عنها رجحان التضخم ، ولكن الحكومة قد أنقصت شيئا فشيئا تلك الفائدة القليلة التي تترتب على المساواة الجماعية .

وفي نفس الوقت أنقصت قيمة الفرنك لكي تجعل الاسعار الفرنسية تتمشى مع مثيلاتها من أسعار حليفاتها في السوق المشتركة وجعلت الفرنك صالحا جزئيا للتحويل للعملة الصعبة ، وكما فعل

بوانكريه في سينوات بعد عام ١٩٢٠ طلب ديجول (وهو رجل أقوى في الظروف العصيبة) الثقة من الشعب ووجه طلب الثقة هذا بصفة خاصة الى الملاك والمستثمرين ، ومن المنتظر أن تتسبب هذه الثقـــة واستقرار الاسعار في خروج كميات كبيرة من الذهب والدولارات من مخابئها ، والفرنسيون الذين يتصفون بالحرص أكثر من اتصافهم بالوطنية خبأوا في مراتب أسرتهم أو هربوا الى الخارج مبالغ يقال أنها تبلغ عشرة بليونات من الدولارات ، فاذا وجد جزء كاف من هذا المال طريقه الى السوق الفرنسي الرئيسي فان الحكومة قد تخفض نسبة استثماراتها ، تلك الاستثمارات التي عملت منذ الحرب على اعادة بناء وتوسيع الصناعات الوطنية الرئيسية والمنافع العامة ، وبدأت بمناجم الفحم التي تملكها ثم السكك الحديدية والنقل الجوى والقـــوى الكهربائية والغاز .

وفي حالة تباطؤ الاستثمار الخاص فان جهود الحكومة لموازنة الميزانية سوف تزيد قليلا من الكساد المزعج الذى ظهر في الخريف الماضي ، وتواجه الحكومة الخطرين المتناقضين « التضخم والكساد » وكلاهما يمكنه ان يمحو برنامجها الاقتصادى وآمالها السياسية واما فشلها في الامساك بخيوط الاسعار ، فسوف ينزل الى الحضيض بما تكسبه من تخفيض سعر الفرنك ومن طلبها ثقة الشعب ، كما يدفع أصحاب الاعمال والحكومة نفسها (كأكبر صاحب أعمال في الدولة) الى النزاع مع اتحادات العمال الديمقراطية والشيوعية على السواء . ومن جهة أخرى اذا زاد الكساد فانه يصعب على الاتحادات أن تنادى بالاضراب كما يصعب عليها النجاح فيه ، ولكن البطـالة في أصغر صورها تزعج العمال الفرنسيين كمـــا أن خفض الاجور أو زيادة البطالة سيدفعان بالشيوعيين والاتحادات الى القيام بالاضراب . لقد تظاهر الشيوعيون في انتخابات المجالس البلدية وصرحوا بأنهم لم يفقدوا أتباعهم لمجرد أنهم لن ينافسوا ديجول شخصيا .

سياسة ديجول الخاصة بالعمال :

لم يعد الجنرال ديجول يردد عباراته الغامضة حول « المشاركة بين رأس المال وبين العمل » « والقضاء على النزاع الطبقى » تلك العبارات التى بدت لكثير من العمال صدى لسياسة حكومة فيشى منذ عشر سنوات ، ولكن كثيرا من العمال يخشون بعض اتباع ديجول ان لم يكن ديجول نفسه •

وقد فشل حزب ديجول القديم فى انشاء حركة عمالية فرعية إذ كانت اتحاداتها ضعيفة فتفرقت ، أما حزب ديجول الجديد فلم يتخذ موقفا من اتحادات العمال ، ويرنو بعض زعمائه الى انشاء حركة اتحادية صغيرة خاصة بهم ، ويذهب البعض الى أبعد من هذا أى الى انشاء حركة اتحادية عمالية واحدة ، ولو أن محاولات هذه الحركة فشلت فى الجزائر عقب حوادث ١٣ مايو ١٩٥٨ ، وهناك آخرون يرغبون فى ترك الموالين لهم أحرارا ينتشرون فى المنظمات العمالية القائمة •

ويبدو أنه قد أصبح لديجول الآن نظرة أكثر واقعية واهتماما بالأمور الاقتصادية عما أظهره من قبل وقت أن كان رئيسا للحكومة فى أعقاب الحرب مباشرة ، ولكن حكمته الاقتصادية تفارقه عندما يطالب بالاسلحة الذرية لفرنسا ، وهو الى جانب المعونة الاقتصادية التى وعد بها الجزائر والجمهوريات الافريقية السوداء التابعةللمجتمع الفرنسى ، فان فرنسا تخوض حربا فى الجزائر تستنزف من موارد الدولة نصف مليون جندى وما يربو على بليون دولار سنويا •

الجمهورية الخامسة ـ عظمة فى الهواء

بقلم سيسلى ماكوورث

اذن فقد قلبت صفحة وبدأ فصل جديد فى التاريخ ، وها نحن فى الجمهورية الخامسة تسير حياتنا كما كانت تسير وكذلك الحال دون شك مع عامة الناس عندما تهادت الجمهورية الثانية لتفسح المجال لنابليون الثالث ، وعندما حلت الجمهورية الثالثة مكان الامبراطورية الثانية ، لقد ارتفعت الاسعار كما تشغلنا ضريبة الدخل أكثر من اى شىء آخر ، ولكن الامر يتطلب اكثر من تغير للقضاء على استمرار الحياة اليومية ، والبلبلة والانزعاج الشديد اللذين حدثا فى الصيف يبدو ان لاحقيقة لهما ، فكأننا عشنا لاسابيع قليلة تحت تأثير قوى لكمية كبيرة من العقار (الدواء) المنبه ..

ولكن منظر الحياة فى نفس الوقت قد تغير فى دهاء ، فقد أصبح لدينا الأب الرمزى الذى كانت فرنسا على ما يظهر تتوق اليه فى عقلها الباطن منذ عهد لويس فيليب ، فكل شىء الان يتركز فى ديجول ان أحـدا لا يراه ولكنه دائما حاضر ، فمن حين الى حين يرتفع ذلك الصوت الجاف الذى يسحر السـامع مقاطعا برنامج الاذاعة بصبر وعبارات بسيطة مدروسة ، لماذا يجب أن يعمل هذا وذاك ، ويعدنا بالعظمة فى المستقبل مكافأة لنا على ضد احزمتنا فى الحاضر ، ان العظمة لتبدو امامنا وأننا على أعتاب عهد رومانتيكى جديد وكل ما يلزمنا للوصول اليه تلك المقادير الكبيرة من الفرنكات الثقيلة التى سـوف تستعمل فى العام المقبل ..

وهنـــا فى ريف نورماندیا لا يدرك أحـــد ماذا تعنى هـــذه الفرنكات الثقيلة بالنسبة لنا ، وأولئك الناس على الاقل حبا فى

اللغو فى هذا المجتمع القروى قد بسطوا الامر على أن مائةفرنك فى هذا العام ستساوى عشرة فى العام المقبل ويقول محامى القرية ان ذلك ربما كان صحيحا وهو رجل عبوس يلوم الحكومة وينعتها بقوله هذه الحكومة التى يديرها الفنيونه وبعض زبائنه على حافةالهاوية بسبب اجراءات ابتكرها رجال فى قصر آلبربون يعلمون الكثير عن الاقتصاد ويجهلون كل شىء عن الزراعة العملية ، ولكن ربما يغير آلمسيو بيناى رأيه مرة أخرى • فهو يصرفنا فى حنق دائم بوعوده بفرض الضرائب الثقيلة « على المظاهر الخارجية للثروة » ، والتى هى فى الواقع ضرورات حيوية لسكان الريف ، فالقس مثلا يعيش فى كنيسة ضخمة تتخللها تيارات الهواء مليئة ببيوت العناكبوالفيران وله خادم (كنيس العمر) لطهو طعامه ورتق جواربه ، وعربةيمر بها على أبرشياته الثلاث الموزعة هنا وهناك ، وهو ينفق على هذا كله من رواتب وصدقات يقدمها له المحسنون من سكان الابرشية ، وقد حسب أنه لو أحتفظ بالبيت والخادم والسيارة فسوف يعتبرونه وكأن له دخل يقرب من المليونين فى العام فيفرضون عليه الضرائب تبعا لذلك ، ورغم هذا فيبدو أن للنظام الجديد عذره لاقتناص الاغنياء الذين يتهربون من دفع الضرائب والذين لم يتمكناحد حتى اليومعن المساس بهم (وفى باريس يدفع سكان شارع فوش الذين يعيشون بين مظاهر الرفاهية التى أختفت منذ زمن طويل من الحياة الانجليزية ضرائب دخلاقل مما يدفعه صغار الموظفين) وعلى كل فقد كان الامر كله مظهرا لسوء الادارة من الناحية السيكولوجية فترك الناس حيارى ساخطين لا يرغبون الدخول فى التزامات مالية قبل أن يعلموا مكانهم منها ••

ومن النتائج الاخرى التى تسبب فيها بيناى •• حالة الموت أو على الاقل حالة الاغماء فيما يختص بالحديث • فاليوم لا حديث •• سوى المال فيمكنك أن تتناول طعامك فى باريس مع عضو من أعضاء

الاكاديمية الفرنسية أو فى نورمانديا مع فلاح صغير وما من شك فى أنك سوف تسمع نفس الحديث ، انما الحديث عن نفقات المعيشة والضرائب وأى مصير سينتهى اليه ذلك كله ، هناك رجل أمريكى وجد فى طلب الثقافة يحدوه شوق كبير الى أخبار الفن المجرد والادب وقال لى يوما فى أسى : « أنتم أيها الاوروبيون تتهموننا دائما بالمادية ولكنى لا أسمع هنا عدا حديث المال وأسمع عنه هنا أكثر مما سمعت فى بلدى » .

وفى باريس فى الاسبوع الماضى سألت عددا من ذوى الميول السياسية المختلفة : « لو أن استفتاء شهر سبتمبر الماضى قد أجرى من جديد فى ضوء أحداث الشهور المنصرمة فأى نسبة مئوية يحصل عليها ديجول ؟٠٠ وقد تراوحت الاجابات ما بين ٢٠٪ ، ٥٠٪ ، وانى أعتقد أن كل امرىء قد أدرك الآن أن التأييد الاجماعى كان مبنيا على سوء فهم كبير ، وقد أظهرت انتخابات ديسمبر أنها كانت بمثابة تصويت لليمين ، وقد حصلت الجمهورية الوطنية على تلك الاغلبية البارزة بادعائها أنها تمثل :

أ ـ ديجول ٠٠

ب ـ سياسة تكامل وتسوية سلمية شاملة فى الجزائر ٠٠

وقد استبد بهم الغيظ الآن عندما تبين لهم أن كلا من ركيزتى برنامجهم يناقض احداها الأخرى ، فليس فى نية الجنرال كما هو واضح ادنى استعداد لان يقوم بدور الناطق بلسان الجناح اليمينى المتطرف فى الجزائر أو بدور الدكتاتور فى الداخل ، (ففى يوم ما على سبيل المثال زاره وفد يسأله مصادرة صحيفة « لوموند » اليسارية التى تطالب بمفاوضات سلمية ، وعلى ما يبدو افتر ثغره عن بسمته الجامدة التى يستخدمها أثناء الضحك ثم قال « لوموند » لماذا أصادرها ؟ فى يقينى أنها صحيفة طيبة للغاية ٠٠

وعلى الجملة هناك الكثير من القلق وان كان من العسير أن نعرف

بالتحديد مدى خطورته ، وفي يوم آخر عقب اتخاذ « اجراءات العفو » بالنسبة لمصالي الحاج وعدد آخر من المسجونين السياسيين وكيف اتحدت مع صحفي من اليمينيين وهو أحد الكبار ذوي العيون المنتفخة الذين رأيتهم في مايو الماضي وهم يتظاهرون في الشانزلزيه يرددون الهتافات لديجول أو الجزائر الفرنسية ! وبمجرد أن جاء ذكر ديجول بدأ يدق المائدة صارخا « لقد خاننا ! » وطبقا لما أورده فان جماعة من حزب الجمهورية الوطنية المتحدة والنواب المستقلين قد اكتفوا أن يقدموا استقالاتهم اذا ما استمرت دلائل التهدئة في الجزائر ، وكما تنازلوا عن معظم سلطاتهم البرلمانية في يناير الماضي فليس بيدهم الكثير مما يمكن عمله كاحتجاج فعال . وكثيرا ما استمع الى تلميحات عن حركة سرية تزمع اتخاذ اجراء ما في حالة التفاوض مع فرحات عباس وجبهة التحرير بالكلام الذى لا يرقى الى مستوى التنفيذ ، ومن المتعذر هنا في فرنسا أن ينمو المرء هذا النمو ، فان جريدة « فرانس سوار » تنشر حاليا سلسلة مقالات عنوانها « المؤامرات الثلاث عشر ليوم ١٣ مايو » .. يكتبها اثنان من الصحفيين المشهود لهما بالرزانة والثقة وهما «سيرج» ومدى برمبرجر» وتحتوى هذه المقالات على معلومات تكشف الستار وتؤرق مضاجع المعنيين .. وتثبت - بطريقة لم يستطع أحد انكارها حتى الآن - كيف كنا على حافة انقلاب في شهر مايو الماضي في صورة مظاهرة عسكرية عامة لايجاد نوع من الحكم المطلق يحقق الأهداف القديمة للجناح اليميني المتطرف ، وربما تكون اللحظة السيكولوجية لاحداث مثل هذا العمل قد انقضت . غير أنه من المؤكد ان عددا كبيرا من الناس الذين كانوا وراء حركة ديجول ينظرون الآن على أنه غول مخيف من صنع ايديهم لا يمكنهم بعد السيطرة عليه ..

وكان قصر البربون في الأسبوع الماضي يشبه الى حد كبير مدرسة داخلية في اليوم الأول لافتتاح الدراسة ، وكان الناس

يتسابقون بزهووهم يتأبطون عــددا ضخما من الملفات ويتقلدون مناصبهم ويتحدثون في أصوات خاطفة قلقة حول النقص التنظيمي لأسلافهم ، وقد بدأ ممثلو الجمهورية الرابعة في مجموعهم كطائفة من المجلدين المثقفين ، فرجال الجمهورية الخامسة أحــدث سنا وتلمع نظراتهم ببريق الاصلاح ، والقلة التي اتبعت النظــام البائد بدت عليهم مظاهر التخفي « نحن لا نثق بهم تماما » همس بهذا مرشدي من حزب الجمهورية الوطنية متبادلا نظرة ذات مغزى مــع موريس شومان ..

ومن الواضح أن الأعضاء القدامى قد تأثروا بروح الجــدد التي تبتلم بها زملاؤهم الجــدد واجباتهم الجديدة ، كانت الجلسة تتناول بعض الأمور الادارية القائمة وفي الماضي كانت مثل هــذه الجلسة لايحضرها سوى القليل من المتخصصين ، ولكن القاعة الحمراء نصف الدائرية كانت ممتلئة ولم يتغيب عنها نائب .. وقد أدهشني قلة الاهتمام التي عومل بها رئيس الوزراء ، فقد استدعى في كثير من الابهة واعلن اسمه في نبرات موقوته يتقدمه ويتبعــه موكب من الأتباع . وقــد أخذ مكانه فوق المنبر ، ولكن لم يعره أحد التفاتا واستمر النواب في الدخول حتى قفلت الأبواب وبدأت اجراءات الجلسة ، ودبريه رجل ذو شخصية باهتة وفي عينيه تلــك النظرة الناعمة التي يتميز بها الموظف الناجح . وبعض اليمينــيين الذين كانوا يودون الغاء البرلمان كلية اكتشفوا ان جده لامه كان يهوديا مما جعله يتلقى نصيبه من شتائم الصحف المناهضة للسامية مثل (RIVAROI)

أما النواب الجزائريون فقد بدأ عليهم الذهول ، ولست أدري ماذا كانت الانتخابات التي ارسلت بهم الي المجلس نظيفة ام لا ؟ولكن من المؤكد أنهم أخطروا بانهم قادمون لتاييد سياسة ديجول الخــاصة بالتكامل وبتمتــع ، ديجول بتأييــد هائل من مسلمي الجزائر على عكس جــيرانهم الفرنسيين فالكثيرون منهم كرهوه عــام ١٩٤٠

ويكرهونه أكثر الآن ولكنهم يعلمون أن اسمه قـد ينفع كثيرا ، وها هم الآن يسيرون على أرصفة باريس وقد اكتشفوا أنهم قـد ضلوا الطريق وقد نشرت لهم جريدة اكسبريس مقالا مؤثر صرحوا فيه أنهم لا يعلمون موقفهم كما أنهم على كل حال لا يجيدون الكلام وقد هدد زملاؤهم باطـلاق النار عليهم اذا عادوا للجزائر ويزداد برد الشتاء شيئا فشيئا ..

والمدموازيل (سد كارا) فقط هي التي يبدو عليها أنها فيوطنها فهي احـدى النسـاء الجديدات التي حاولت منـذ سنتين تنفيذ التقاليد الاسلامية فهي تشبه (اميلي باكهرست الشرق) وهي تريد نزع حجاب النساء المسلمات ولمـا وعدها الفرنسيون الجزائريون بتأييدها في هذه المهمة السلمية فهي الى جانب فرنسا قلبا وروحا ، ومنذ عام كانت تقوم بالتدريس فياحدى مدارس التلاميذ المسلمين ومهدت لها حوادث مايو فرصة الخطابة ولما كان حماسها على المنبر شديدا فقد أرسلوها الى باريس نائبة عنهم وآخر الأنباء هو تقلدها منصب الوزارة ..

ولا يسمع الانسان كثيرا في هـذه الأيام عن أحزاب اليسار واقصـد تلك الأقلية التي صوتت بكلمة لا في الانتخابات لأنها كرهت الدسـتور المقترح والسلطات المطلقة التي منحها لرئيس الجمهورية (ولو أنها في الوقت الحاضر أقل من السلطات الممنوحة لرئيس جمهورية الولايات المتحدة .. واليسار الصحيح الرأى في فرنسـا هو العنصر المحـافظ الحقيقي بمعنى أنه تشرب العـوائد الفكرية التي يرجع معظمها الى أيام الثورة ..

وأني دائما أشـك في أن كلا من هؤلاء الأعضـاء يحتفظ في مخيلته بصورة لويس الرابع عشر بوجهه وأبهته وأن هذه الصور تبرز أمامه لصـورة خاطفة كلما جاء ذكر القوة الشـخصية التي لا يمكن للبرلمان أن يكبح جماحها بطريقة مباشرة ، وهـذا الجناح

اليسارى لا يتمتع فى الوقت الحاضر بتأييد شعبى وكذلك منديس فرانس (البائس) الذى ظل منــذ زمن بعيد أكثر رجال فرنسا المكروهين وقد طوحت به الانتخابات الى زوايا النســيان المؤقت وامتــلأت الجرائد بصورته وقد بان على وجهه تعبير مكتئب • وهو يجمع أوراق مكتبه ، كما صورته من الخلف وهو يلجأ الى فيلته فى لوفيير ••

وفى المكتبة الوطنية حيث تحتفظ بكتالوج غــير كامل عن أية مكتبة فى العالم قابلت صديقى مسيو « ن » الذى كان منضما لحزب منديس فرانس اليسارى منــذ زمن طويل • وهو يهوى السياسة غير أنه يمارسها بطريقة جدية كما أنه يبــذل قصارى جهده حتى لا تطغى عواطفــه على موازينه • وقــد قضينا وقتــا طويلا فى استعراض بطاقات الفهارس وقد تزايد عدم توفيقنا واخيرا صرفنا نظرنا عن هذه العملية ثم توجهنا لنتناول شراب فى محل مجاوركان مليئا بالعمل فى أرديتهم العمالية يلعبون كرة اليد على المنضــدة المخصصة لهم وكذلك رجال كبار السن يقيــدون مذكرات لهؤلاء وهؤلاء بينما تنسكب القهوة على جرائدهم ••

والسيد « ن » أحد أولئك الذين يسعون الى تكوين جماعة انتخابية لجناح يسارى جديد لتكوين ما يسميه « المعارضة الانشائية » ، أما أولئك الناس مثل منديس فرانس وفرانسوا متراند فيحاولون أن يجمعوا الجناح اليسارى لغير الماركسية فى منظمة أكثر تناسقا وأقل تماسكا بالنظريات يمكنها أن تدلى بأصواتها الى جانب أو ضــد الاتحاد الوطنى الجمهورى وكتلة الاغلبية طبقا لما يقتضيه الامــر والروح العــامة كما يقول السيد « ن » هو الشعور بالنــدم فهم يشعرون أن الجناح اليسارى القديم مسئول الى حــد كبير عن كل ما حدث لأنها أصرت على معارضة اجراء أى اصلاح للدستور ••

لقـــد وجهت سؤالى المفضل الى مســتر « ن » سألته « هب أن الاستفتاء قد أجرى من جديد - هل يكون صوتك - لا - ؟ فأجاب نعم كنت أفعل هذا ولكن فى نبرة فسرتها على أنها (لست متأكدا) وهو يعجب بديجول فىالاطار اليسارى الذى يكره المبالغة فىتمجيد الاشخاص ٠٠ وقد بحثنـــا الموضـــوع المثير الخـــاص بالتطور السيكولوجى للجنرال فالفجوات التى تتخلل استمرار سياسته فى وتيرة واحدة تجعل من الصعب الحصول على صورة صحيحة لها ٠٠ ففى البداية اهتم ذلك الكولونيل بكتابة ذلك النوع من الكتب عن الاستراتيجية الحربية والذى لايقرأه سوى زملاؤه من رجال الحرب ثم تطـــور الى شـــخصية ذلك الـــرجل الذى يســير منتصب القامة فى عجرفة تعذره اللباقة وهذه شخصية أثناء الحرب ثم ظهر بعد ذلك فى شخصية المعتزل فى مدينة كولوصى ذات الكنيستين يكتب تلك المذكرات التى يعترف الجميع حتى أعداؤه أنها ليست فقط تاريخا ولكنها أيضا أدب رفيع٠وأخيرا أمامنا شخصية ديجول الجديد الذى طالما أدهشنا بآرائه المتحررة ودبلوماسيته المرنة والذى اتضح مع اولئك الناس من فرنسيى الجزائر الذين رفعوه الى الحكم ٠

وقد أخبرنى السيد(ن)أنه عرف قبل الحرب زافير ديجول الذى بقىفى فرنسا وقتل أثناء حرب المقاومة ، وكان زافير يتحدث يوما عن عائلته فقال بطريقة جدية أن له أخا عظيما وسوف يحكم فرنسا يوما ويثير دهشة العالم ويقول السيد « ن » أن ديجول فوق كل شىء - رجـــل متصوف يحدوه شعور بأن له رسالة سماوية وذلك منذ شبابه ، وهو يعتقد فى هذا اعتقادا جازما لدرجة أن مجرد الظروف لا تعنى شيئا بالنسبة له، اذ يمكنه أن يكيف نفسه طبقا لها ، ويعمل ماهو ضرورى فى الوقت المناسب ، أولا يعمل شيئا بالمرة ، وعنـــدما يقول « أنا فرنسا » أو يتحدث عن نفسه كما تكرر منه ذلك فى مذكراته فى

صيغة الضمير الغائب وليس هذا تفاخرا منه بل اعتقادا حقيقياً بأنه الشخص الذى تتحقق على يديه عظمة فرنسا ومن جهة أخرى فلما كان يعتقد فى نفسه انه هو الامة فان فى امكانه ان يعمل لكل مافى نفسه من جوانب ·· وكل امرىء يعلم أو يشك أنه يتوق الى سـلام فى الجزائر عن طريق المفاوضات وذلك رغم ما ينشره معارضوه من آن لآخر فى الصحف وهو لديه من القوة ما يكفى أن يبدأ تلك المفاوضات فى الغد ولكنه بعمله هذا سوف يقسم فرنسا ومنذ تلك اللحظـة يصبح زعيما لحزب هو أمل فرنسا المعقود ·

وعلى هـذا فان الحرب فى الجزائر تسير بخطى ثقيلة تعمل على خرابنا كما أنها من المحتمل أن تستمر هكذا حتى يتمكن ديجول أن يجمع حول رأيه عددا كافيا من الناس يمكنه من أن يعمل كرمـز للوحدة الوطنية ·

ويقول السيد « ن » أن الوحدة بالنسبة لديجول هى كل شىء والتشريع الاجتماعى على سبيل المثال يعتبر أجرا جد ثانوى بالنسبة له وهنا يكمل الانقسام فى الرأى بينه وبين الجماعات اليسارية وهو اليها أقرب منه الى الجماعات اليمينية ·

فهرست

صفحة

روايات عالمية

تقدم

صانع الملوك

بقلم الكاتب الكبير

رافاييل ساباتيني

الجزء الثانى

مع الباعة والمكتبات

٣ قروش

الدار القومية للطباعة والنشر

شركة ذات مسئولية محدودة

٣٠ شارع منصور - القاهرة

ص . ب ٢٣٩٨

هيئة قناة السويس

أسطول هيئة قناة السويس

يبلغ عدد وحدات أسطول الهيئة ٤٦٥ وحدة عائمة وهو يشمل رافعات وكراكات وقاطرات بحرية ولنشات وصالات نقل ، هذا عدا الوحدات الجديدة التى تم الاتفاق على بنائها مثل القاطرتين « مارد » و « شهم » اللتين تعتبران أقوى قاطرتين من نوعهما فى العالم .

وقد صرح الفنيون الذين أشرفوا على بناء القاطرتين المذكورتين ، انهما مزودتان بأحدث أجهزة الاطفاء وأقواها وان المضخة الواحدة تدفع ٢٠٠ متر مكعب من الماء فى الساعة ، وبطلمبات لشفط المياه وونشات كهربائية قوة رفعها ٦٠ طنا وقوارب انقاذ من الالومنيوم ذات محركات ميكانيكية يسع الواحد منها ٣٥ شخصا ، وكذلك قوارب انقاذ من البلاستيك .

وقد سئل أحد مهندسى الشركة الهولندية التى بنت القاطرتين «مارد» و «شهم» عما بنته الشركة السابقة فى ثمانين عاما ، فأوضح أنها لم تبن سوى ١٣ قاربا وبعض اللنشات الهزيلة فى تلك الفترة أما هيئة قناة السويس فقد أتمت فى ثلاث سنوات بناء أكثر من عشرة أضعاف ما بنته الشركة المنحلة فى ثمانين عاما .

ولدى الهيئة حاليا غير ما ذكرنا من وحدات و [illegible] القاطرات « عنتر » و « بطل » و « منجد » التى كانت [illegible] العدوان على القناة عام ١٩٥٦ وأعيد اصلاحها فى ور[illegible] از لديها القاطرات « مرجان » و « شبار » و « حوت [illegible] عشرات القاطرات الصغيرة مثل « يقظ » و « شديد [illegible]

الكتاب ١٥١

الثمن [illegible]

صدر يوم الأحد ٢٠ مارس (آذار) سنة ١٩٦٠